جامعة الأزهر
كلية اللغات والترجمة
قسم اللغة العبرية وآدابها

# دراسة في الحضارات السامية القديمة

دكتور:
عبد الخالق بكر عبد الخالق

## اهـــــــداء

الى - والدى الأعـــــــزاء

الى - زوجتى العزيـــــــزة

الى - أولادى الصغـــــــار

الى - اخوانى الطلبـــــــة

أهدى هذا العمل المتواضع ، لعله ينال رضاهم واعجابهم .

د . عبد الخالق بكر

١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد

قبل ان نتناول الحضارات الساميه القديمه سوف نقف لتعريف الحضاره . فقد عرفت اللغات المختلفه لفظ حضاره منذ وقت قديم جدا وهذا اللفظ مشتق في العربيه من الحضر كما أن لفظ المدنيه مشتق من المدينه سواء اكان في اللغه العربيه أم في اللغات الأوروبيه . ولفظ Civilization مشتق من الكلمه Civatus وهي كلمه لاتينيه تعني المدينه أو من Civatus بمعنى ساكن المدينه أو من Civilis بمعنى مايتعلق بساكن المدينه حيث إن الحياه المتحضره غالبا ماتظهر في المدن وبين سكان المدن وذلك لأن المدن يتوافر فيها الاحتياجات المختلفه للحضاره فضلا عن الانجازات البشريه التي تلمع في المدن حتى وان كانت قد جاءت في الأصل من القرى . وفي المدينه يمكن ان يحدث التقاء فكرى ، تجارى وصناعي وغير ذلك من أنماط الحياه التي تتيح قيام حضاره أو مدنيه . ولكل شعب من الشعوب حضارته قلت أو كثرت وعلى ذلك فان الحضاره ليست حكرا على شعب دون الآخر ويمكن ان نطلق صفة الحضارة على الانسان بصفه عامه ، فالانسان كائن متحضر بمعنى انه يمارس أسلوبا من الحياه يشمل النشاط الفكرى ، الاجتماعي ،

الاقتصادى ، السياسى ، الدينى والفنى وفى ذلك يختلف الانسان عن الحيوان ٠

وقد اختلف العلماء فيما بينهم فى تحديد العلاقه بين اللفظين Civilization ؛ Culture حيث يعتبر البعض ان اللفظ الأول يعنى حضاره بينما يعنى الآخر ثقافه وذلك لاعتبارهم ان المدنيه اكثر اتصالا بالمظاهر الماديه المتصله بالحياه العمليه وهى وثيقة الصله بالعلوم والتكنولوجيا بينما تنطوى الحضاره على مظاهر ثقافيه ومعنويه ؛ وعلى ذلك فاننا نصف الهند والصين وفارس وسوريا ومصر بأنها دول ذات حضاره قديمه بينما لانصف غيرهم بهذا الوصف مع أنهم لديهم مدنيه كبيره وذلك لأن الحضاره تمتد جذورها الى فترات قديمة جدا ٠

ويعرف ديورانت[1] الحضاره بأنها " نظام اجتماعى يعين الانسان على الزياده من انتاجه الثقافى " ٠ وتتألف الحضاره من عناصر أربعه : الموارد الاقتصاديه ، النظم السياسيه ، التقاليد الخلقيه ، ومتابعة العلوم والفنون وهى

---

(١) ول ديورانت ؛ قصة الحضاره ؛ الجزء الأول من المجلد الأول ترجمة دكتور زكى نجيب محمود ، القاهره سنة ١٩٧٣ ص٣ ٠

تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه اذا ما أمن الانسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والانشاء وبعد ذلك لاتنفك الحوافز الطبيعيه تستنهضه للمضي في طريقه لفهم الحياه وازدهارها ٠

وتتأثر الحضاره بعوامل مختلفه تعوق خطاها أو تستحثها مثل :—

**أولا — العوامل الجغرافيه** : فشدة الحراره مثلا لاتشجع الانسان على المزيد من الجهد بل نرى ان الامطار الاستوائيه يتفشى فيها الخمول والامراض ، النضوج المبكر والانحلال ٠ ويقضي الانسان في هذه المناطق الحاره وقته في اشباع جوعه وفي عملية التناسل ٠ ويعتبر المطر عاملا هاما حيث أصبح معروفا ان الحضاره لاتترعرع الا في المناطق الزراعيه التي يعيش فيها الانسان آمنا مطمئنا على مأكله ومشربه ٠ ويلعب الموقع الجغرافي دورا هاما في تقدم الحضاره حيث يساعد على الاتصال بالحضارات الأخرى وتبادل الأفكار معها ٠

**ثانيا — العوامل الاقتصاديه** : وتلعب هذه العوامل دورا هاما في الحضاره حيث يشعر الانسان بالطمأنينه

والاستقرار عندما يستقر في مكان يزرع فيه أرضه ويوفر زاده للغد ويتفرغ لبناء المكان والمدارس والبيوت ويخترع الآلات التي تساعده على زيادة الانتاج ويستأنس الحيوانات لكي تساعده في أعماله ويتعلم كيف يعمل في شكل منظم .

<u>ثالثا — العوامل الجيولوجيه</u> : هذه العوامل تؤثر في الحضاره تأثيرا واضحا حيث لاتزدهر الحضاره في المناطق التي تهددها الزلازل والبراكين لأن الانسان في هذه المناطق يشعر بالخوف والقلق وعدم الاستقرار ولايستطيع ان يتفرغ بفكره للانتاج والابداع .

والى جانب هذه العوامل الطبيعيه والماديه نجد العوامل البشريه التي تلعب هي الأخرى دورا هاما في الحضاره . ولابد لازدهار الحضاره من وجود نظام بشري واتفاق بين الناس في العقائد الأساسيه والايمان بما هو كائن وراء الطبيعه أو بما هو بمثابة المثل الأعلى ؛ لأن ذلك يساعد على الاخلاص في العمل . ولابد ايضا من التربيه مهما كانت بدائيه وذلك لكي تنتقل الحضاره على مر الأجيال ولابد من تربية الصغار على تراث القبيله ، روحها ، تقاليدها وعلومها سواء كان ذلك عن طريق التقليد أو التعليم أو التلقين . ويمكن الاختلاف بين الانسان والحيوان في التربيه أو الوسيله التي تنتقل بها المدنيه

من جيل الى جيل •

رأينا ان الحضاره هى الانتاج العقلى للانسان سواء كان هذا الانتاج ماديا أو معنويا فكل مايمارسه الانسان من نشاط سواء كان نشاطا ماديا أو أدبيا يعتبر حضاره • فالحضاره صفة تلازم الانسان وهى نتيجة حتميه لوصول عقله الى قدر من النضج ، وبمجرد ان أصبح للانسان عقل ونطق أصبح له حضاره ، وكل انتاج العقل يعتبر حضاره سواء كان انتاجا بدائيا أو راقيا ولاتوجد مجموعه بشريه بدون حضاره ولكن تتفاوت معدلات الحضاره بينها •

وقد اتجه الانسان فى بداية حياته لسد مطالبه الرئيسيه الثلاثه وهى : المأكل ، الملبس والمسكن وهى مرتبه حسب أهميتها للانسان ثم وجه بعد ذلك جهوده للمطالب الثانويه مثل الفن وغير ذلك •

ويميل الانسان بفطرته الى المحافظه على النوع ومن ثم تتكون الأسر التى أوجدت القرابه • وقد بدأت النظم الاجتماعيه منذ القدم وهى عنصر من عناصر الحضاره ، ونتيجة لوجود بعض الأسر فى مكان واحد كان من الضرورى تنظيم العلاقات بين الأسر وبعضها • والانسان اجتماعى بطبيعته فهو لايستغنى عن غيره من الأفراد من أجل الحصول على الفوائد الماديه وقد تعاون الانسان مع غيره فى استغلال البيئه الطبيعيه

وفى صد الاعداء وما اشبه ذلك ٠

وقد لاحظ الانسان البدائى كثيرا من الأسرار والظواهر الطبيعيه حيث لاحظ الحر والبرد ، المطر والجفاف ، الزوابع والبرق والرعد وانتهى به تفكيره فيما حوله من البيئه الى وجود قوة أعلى منه تسبب هذه الظواهر فخاف منها وعمل على كسب رضائها ٠ وفى النهاية لاحظ ان الانسان يموت فاعتقد ان العالم الذى يعيش فيه هذا الانسان ليس هو العالم الوحيد بل هناك عالم آخر تعيش فيه بعد موته وهكذا أصبح عند الانسان الكثير من الأفكار والمعتقدات التى كونت الديانات القديمه ٠

رأينا ان الحضارة فى الأصل قوة عقلية تستغل البيئه الطبيعيه فى سد مطالب الحياه الاساسيه ثم تتجه بعد ذلك الى المطالب الثانويه وتنظم القرابه وعلاقات المجتمع خارج الأسرة ثم تؤمن بمجموعه من الأفكار والعقائد ونجد أيضا جماعه تتفوق على غيرها من الجماعات فى هذا الانتاج العقلى من حيث التنظيم الاجتماعى ، السياسى والاقتصادى ويظهر هذا التنظيم فى مدى نشاط هذه الجماعه فى استغلال البيئه الطبيعيه ومدى تفوقها فى الفن وفى المعتقدات الدينيه ٠

ننتقل بعد ذلك الى تعريف للساميين القدماء من هم ؟

يخبرنا العهد القديم ان الكتاب المقدس وهو من الوثائق التاريخيه القديمه .. ان سام من أبناء نوح عليه السلام ويشير الى شجرة الانساب فيقول : " هذه هى مواليد بنى نوح : سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان .. وسام أبو كل بنى عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضا بنون . بنو سام عيلا واشور وارفكشاد ولود وارام وبنو آرام عوص وحول وجاثر وماش وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر ولعابر ولد ابنان اسم الأول فالج لأنه فى أيامه قسمت الأرض واسم أخيه يقطان . ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ورقله وعوبال وابيمايل وشبا وأوفير وحويله ويوباب هؤلاء بنو يقطان وكان مسكنهم من ميشا بينما تجئ نحو سفار جبل المشرق . هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كألسنتهم باراضيهم حسب أممهم " (١) .

وكان العالم اللغوى الألمانى شلوتزر (١٧٨١ م) أول من أطلق على الشعوب التى اقامت فى غرب آسيا حضارات ترتبط لغويا وتاريخيا اسم الشعوب الساميه . وقد اختلف العلماء فى المهد الجغرافى للساميين فهناك من قال ان سهول العراق هى البيئه الأولى للساميين ومنهم من قال ان افريقيه هى الوطن

---

(١) تكوين ١٠/١ ـ ٣١ .

الأصلى فى حين ذهب آخرون الى ان جزيرة العرب هى الموطن الأصلى للساميين . ويعتمد كل من هؤلاء وهؤلاء على افتراضات ولكن الرأى الأرجح هو ان البيئه الأصليه للساميين الأوائل كانت شبه الجزيره العربيه كما سيتضح فيما بعد .

ويمكننا القول بأن الساميين الأوائل الاكاريون ، الكنعانيون ، الفينيقيون العبريون ، الآراميون والساميون الجنوبيون ( بلاد العرب والحبشه ) .. وسوف نبدأ حديثنا عن الحضارات الساميه القديمه بالحضارتين البابليه والاشوريه .

# الباب الأول

## الحضارتان البابليه والأشوريه

### الفصل الأول : مدخل الى الحضارتين :

يقع اقليم بابل الذى عرفه الاقدمون فى السهل الذى كونه نهرا دجله والفرات ويحده من الغرب الصحراء العربيه ومن الشمال السهل الأعلى لبلاد مابين النهرين ومن الشرق التحصينات التى تكون الحد الحالى لبلاد الفرس ومن الجنوب الخليج الفارسى . وكان يوجد فى هذا السهل جنسان مختلفان : فى الجنوب سكان غير ساميين وفى الشمال ساميون . وكان غير الساميين يعرفون بالسومريين نسبة الى سومير وهو الاسم الذى اطلقه جيرانهم الساميون على اقليمهم ويطلق على هذه المنطقه كذلك فى الوثائق القديمه Kalam ومعناها القطر وذلك تمييزا لها عن kaurkaur " الأقطار " وهو الاسم الذى يطلق على كل مايخرج عن نطاق سومير من عالم خارجى .

وقد أطلق انشاكوتا الأول على نفسه سيد سومير وملك القطر وهذه المنطقه تشمل نبور - وهى العاصمه الدينيه التى تقع فى أقصى الشمال - أور ، أوروك ولارسا . وكان الساميون لهم مدن بابل ، سيبار ، كيش ، أوبيس ، اكشاك ، كوتا ، اكد أو اجاده ، وهذه المدينه الاخيره هى التى

أسسها وقام بتجديدها سرجون فى القرن التاسع والعشرين واطلق اسمها على كل الاقليم الشمالى وسمى السكان بالاكديين وأصبح سرجون الاكدى ملكا للقطر عندما اتم اخضاع البلاد بعد أن قهر لوجالزاجيس • ويبدو ان ملوك أورهم أول من اتخذوا فى القرن الرابع عشر لقب " ملوك سومير واكد " وقد ظل هذا اللقب باقيا فى نفوس كورشن بعد سقوط الامبراطوريه البابليه الجديده •

وقد جمع الملوك العموريون — الذين أسسوا أسرة بابل الأولى تحت سلطان واحد — المنطقتين بصفه نهائيـة وأصبح الجنس السوميرى يضمحل خلال كفاحه ضد عيلام الى أن دمرت النار لاجاش ، أوما ، شورو باك ، كيسورا وآداب • واختفت اللغه السوميريه ولم تعد باقيه الا فى الطقوس الدينيه وأطلق اسم اكد على القطرين •

ويرجع اسم بابل الى اسم مدينه قديمه كانت تسمى باب — ايلو وكانت هذه المدينه تفتخر بأن لها تاريخا قديما جدا ، والمعنى الأصلى لاسم بابل غير معروف على وجه التحديد ولكن يرجح ان يكون معناه هو بوابة الاله • وعلى ذلك فان ملوك الاسرة البابليه الاولى عندما انشأوا المدن اعطوها اسماء تضم اسم الاله مثل كارشماش Kar-S hamash

ومعناها قلعة الاله شماش ، نوراداد Nour - Adad

ومعناها نور الاله اداد .

ويبدأ تاريخ الجنس السامى عندما هزم سرجون العظيم أورزابابا ملك كيش وقهر كذلك لوجال زاكيرى وأسس أول امبراطورية عظيمه فى بلاد الرافدين حوالى ٢٣٥٠ق.م. ونحن لانعرف أصل سرجون على وجه التحديد وكل مانعرفه عنه هو القصه التى ترجع الى القرن السابع ق.م والتى كتبت على لسان سرجون وهى تشير الى قصة ولادته :

" كانت أمى كاهنة معبد لاتتزوج ولم أعرف أبى وكانت عائلة أبى تعيش فى الجبال وكانت مدينتى ازوبيرانو تقع على شاطئ الفرات وقد حملت أمى الكاهنه اينوتوم بى وولدتنى سرا ، ووضعتنى فى سله من الغاب وأحكمت غلق بابها بالقار ثم وضعتنى على النهر الذى لم يغطى هذا الصندوق وحملنى النهر وأتى بى الى آكى الراوى . ورفعنى آكى الراوى عندما رمى جرده وقبلنى كابن له وربانى وجعلنى آكى الراوى حبيبا للحديقه وكان آكى يعمل لحساب القصر ولذا التحق سرجون بخدمة ملك كيش اورزابابا وعين سرجون رئيسا لحملة الكئوس" (١) .

---

(١) E.Weidner ,DasReich Sargon Von Akkad in AFO 16 ,1952.PP. 1-24

ونجح سرجون بعد ذلك في الاستيلاء على الحكم وبذلك بدأت سيطرة العناصر الساميه على السومريين الذين كانوا يحكمون تلك البلاد من قبل • واتخذ سرجون اكد لتكون عاصمة له وشن أولى حملاته شمالا على الفرات حيث استولى على توتول — وموقعها الآن هيت — وهي مشهورة بينابيع الأسفلت وقدس سرجون الاله داجون واستنجد به فاستجاب داجون لدعائه حيث مكنه من الاستيلاء على ماري واخضاع المنطقه الممتده الى جبال الطوروس وأمانوس • ويظهر من أحد نصوص التنبوءات التاريخيه انه قد عبر البحر واستولى على قبرص وكريت وأدت هذه الفتوحات الى اصطدامه مع لوجال زاكيرى ملك ارك[1] Ereck ؛ الذى كان يعتبر البلاد الغربيه جزءا من منطقة نفوذه وفرض عليها الاتاوه واستطاع سرجون ان يأخذ لوجال حيا وينقله الى نيبور كما استولى بعد ذلك على أور المدينه السومريه الثانيه ثم استولى على انتار Eninmar وكيش وغسل سلاحه في الخليج العربي كدليل على ضم الخليج اليه • واحتل سرجون اوما ودمر حصونها ثم عبر الى دلمون[2] ثم فتح عيلام في الشرق وكانت اللغه المنتشره في ذلك الوقت هي لغه ساميه تعرف باسم اللغه الاكاديه نسبة الى اكد العاصمة •

---

(١) هي ايريخ في التوراه أو الوركاء •
(٢) هي في الغالب جزيرة البحرين •

وهكذا استطاع سرجون ان يقيم أول امبراطوريه ساميه بل وأول امبراطوريه في العالم ، واستتب في عهده الرخاء والأمن وانتشرت العلوم والفنون والكتابه في العراق وجميع الأقطار المجاوره . وقد عثر في عيلام والاناضول على ألواح من الطين مكتوبه بالخط المسماري وباللغه الاكديه كما عثر في نينوى على رأس من البرونز تمثل سرجون أو حفيده نرام — سن ، وهذه الرأس تعتبر من أجمل القطع الفنيه التي عثر عليها . وقد عمل سرجون على خدمة العادات المحليه ويظهر ذلك من نقش على قرص من الالباستر رسمت عليه ابنته في وظيفة كاهنه لاله القمر في أور . وتذكر الحوليات انه قامت ثوره ضد سرجون بسبب غضب الآلهه عليه لأنه بنى مدينه ثانيه هي بابل تضارع اكد . وقد مات سرجون بعد ٤٤ عاما في الحكم وانتقل الحكم الى أورموش الذي حكم عشر سنوات وقتل في ثوره قامت ضده وحل محله أخوه مانيشتوسو الذي كان قائدا ناجحا وحاكما نشيطا ، ولكن نرام سن ( محبوب سن ) الذي جاء بعده كان خير من يمثل الاسره الاكديه بعد سرجون . وقد حكم نرام سن ٣٩ عاما حاول خلالها تعمير البلاد وقد جعل اللغه الاكديه هي اللغه الرسميه لبلاد العراق وبعض الأقطار المجاوره وحرص على تشييد دور العباده وتعميرها ، ومن أهم آثاره لوحة النصر من سوس وهي محفوظه بمتحف اللوفر وهي تمثله وهو على رأس جيش منتصر على بعض القبائل الجبليه .

وقد أدخل نرام سن نظام التأريخ الموحد للمملكه كلهـــا بدلا من التاريخ القديم الذى كان قاصرا على كل بلد على حده ٠ واستبدل لقبه القديم وهو ملك اكد بلقب جديد هو ملك اقطار العالم الأربعه ويقصد بها سومر واكد ، سوبارتو وأمورو ، كما اعتبر نفسه الها ولقب نفسه الاله نرام سن القوى اله اكد ملك اقطار العالم الأربعه ٠

وتذكر النقوش على بعض القطع الاسطوانيه — التى تخص كبار الموظفين — اسمه على انه اله اجاده ٠ ويرجع تاريخ كثير من لوحات الحسابات الى عهده ، والى عهد حفيـــده شركاليشرى ( بين ١٧١١ — ٢٦٨٨ ق٠م )٠ وبعد موت شركاليشرى سادت الفوضى حيث حكم أربعة ملوك خلال ثلاث سنوات ٠ واستردت اسره من اوروك السلطه وحكم منها خمسة ملوك على مدى ٢٦ عاما ( حوالى ٢٦٤٨ — ٢٦٢٣ ق٠م )، ولكن قوات جوتيوم التى استطاع شركاليشرى ان يردها نزلت الى السهل من الجبال الشرقيه واخضعت سومير واكد ( حوالى ٢٦٢٢ — ٢٤٩٨ ) ، وقد أمر أحد ملوك هذا العصر وهو لاسيراب ان تنقش كتابه اكديه على دبوس قتال نزرى وهو يتوسل فيها الى أنينا وسين مع آلهه بلاده ٠

وبعد مائة وخمسه وعشرين عاما عندما أصبح باوتو هيجال ملكا على أوروك والأقاليم الأربعه وضع نفسه تحت رعاية انليل

واينانا الهة اوروك وجلجامش الملك القديم الاسطورى • وقد جمع قوى أوروك وكولاب ضد الاجنبى وخسر ترقان ملك جوتيوم المعركه وهرب الى قلعته دوبروم ولما هجره رجاله أسر مع زوجته واطفاله وتم توطيد دعائم الاستقلال من جديد •

ولايزال هذا العهد غامضا وقد حفظت لنا النقوش بعض الأسماء من ذلك العهد وهى أسماء ملوك لاجاش ومن بينهم جوديا الذى امتد نفوذه الى ماوراء مدينته ويوجد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالا له وهناك تمثالات صغيران وقطعتان اسطوانيتان من الآجر تخلدان ذكرى اعادة بناء المعبد الكبير فى لاجاش وكذلك بعض قوالب الآجر والمسامير الطينيه واللوحات والأوانى ورؤوس الدبابيس وأسد نذرى وبصمات اختام • وأعاد بناء اينو Eninnou وتصف النقوش على الاسطوانات الاستعدادات التى تمت من أجل تنفيذ هذا المشروع وحفلات تدشينه • ووضع تمثاله الخاص الذى يمثله فى صوره متواضعه تنم عن الاحترام امام المعبود فى كل معبد قام بترميمه واقام فى فناء الاينو سبع لوحات عشر على اجزاء من اثنتين منها • ويوجد كذلك رأس دبوس من رخام محلاه برؤوس سباع ومغطاه بطبقة من الذهب وكذلك اناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذى سنراه شعارا لمردوك اله بابل • وبعد ان انتهى من ترميم المعابد اهتم بالمنشآت الدينيه القديمه وقد أله جوديا

خلال حياته وكان يعبد بعد موته بوقت قصير ، وقد تم تحديد أوقات منتظمه لتقديم القرابين لتمثاله وتوجد لوحات حسابيه تؤيد ذلك .

وخلفه ابنه اورنجرسو الذى سرعان ما خلفه اورانجور ملك أور من مركزه كملك مع بقائه كاهنا لأنو دانكى حتى تحت حكم دونجى . وبدأ فى أور حوالى ٢٤٧٤ ق.م عهد الاسره الثالثة التى أسسها اورانجور وكانت أور قد خربت وحرق قصرها وهدمت اسوارها فاعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنا اكبر لاينانا واستولى على لاجاش وخلع ملكها وأحل محله أورابا وشق قناة هناك . وعندما أصبح ملكا على سومير وأكد أعاد بناء كثير من المعابد : معبد اله الشمس فى لارسا ومعبدى أنليل ونينليل فى نيبور وشق القنوات ونشر العداله .

وقد خلف دونجى اباه اورانجور حوالى ٢٤٥٦ ق . م . وتنقسم مدة حكمه التى بلغت ٥٨ عاما الى فترتين . ويظهر ان الملك قد اهتم خلال الفتره الاولى بالسلم فقط وكان كل عام يشهد حادثا دينيا أو أعمالا خاصه بالمنافع العامه من اقامة معابد ومؤسسات دينيه ووضع المعبودات فى الهياكل التى أعاد ترميمها وتعيين كبار الكهنه وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمارات وغير ذلك . وفى السنه ٣٣ من حكمه نراه يبدأ سلسله

من الحملات على البلاد الواقعه فى الاقاليم الجبليه شرق سومر واكد • وقد عثر على آثار من حكمه فى أماكن كثيره مثل نيفر وغير وتللو وهى موضحه على الخريطه التى ستوضح هذه الأماكن فى هذا الفصل •

وأمر دونجى كما فعل نرام سين من قبله ان تقدم له فروض التمجيد الالهى وبنيت له المعابد وقدمت التقدمات لتمثاله عند ظهور الهلال الجديد وعند اكتمال القمر ، بل ان احد الشهور فى بعض التقاويم المحليه كان يسمى شهر عيد دونجى ، وقد ألفت الاناشيد الدينيه التى تمجده ، كما يعتبر الاله الملك الذى استعمل اسمه كجزء من اسماء رعاياه مثل دونجى ايلى ( أى دونجى الهى ) ودونجى بانى ( دونجى الخالق ) •

وقد خلفه ابنه بورسين Boursin وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨ — ٢٣٩٠) وكان عليه ان يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجله ، وقد استخدم تخريب اور بيللوم فى العام الأول وشاشارو وهو هو نورى فى العام الخامس والسادس كمعالم فى التقويم • واعاد ترميم جزء من معبد انليل فى اريدو كما أقام تمثالا فى أور • ونفذ مشروعات كثيره فى معبد اله القمر وشيد فى نيبور مبنى لتقدمات العسل والزبد والنبيذ لانليل الاله الذى يمنح الحياء لارضه — اله الشمس لبلاده وقد تقبل

التقدمات ـ كما فعل أبوه فى المعابد المخصصه له • وظل فــى عــداد مجمع الآلهه وعــاد ظهوره فى القرن السابع فى موكـــــب الداور •

وخلفه أيضا ابنه جيميل ســين وقد حكم هذا الأمير مثــل ابيه تسع سنوات ( حوالى ٢٣٨٩ ــ ٢٣٨١ ) وقد ضــــرب سيمانوم فى الشرق وكان عليه ان يشيد حائطا من دجله الى الفرات قرب ســيبار لحماية اقليمه من غــارات العموريين • وقد رمـــم المعابد وزينها واســتمر العمل بنظام المركزيه فى عهده حتى ان كبير وزرائه اراد ننــار استطاع ان يطلق على نفسه لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس أخرى وذلك فى نقــش على عوارض باب معبد اقامه فى جيرسو تمجيدا للملك •

وآخر ملوك هذه الاســره هو ايــبى سين بن جيميل ســين ( حوالى ٢٣٨٠ ــ ٢٣٥٨ ) وقد أسر هذا الملك فى مـــارى وظهرت مملكتان جديدتان عــلى انقاض امبراطوريه أور: احداهما فى سين والأخرى فى لارسا •

وفى عــام ٢٢٢٥ ق•م نادى سومر ابوم العمورى بنفســـه ملكا على بابل وقضت الاسره التى انشأها على أسر ايسين ولارســا وبسطت نفوذها على سومير واكد وحققت وحدة البلدين تحـــت صولجان واحد كما أبيد الجنس السوميرى جزئيا ودخل الجـــزء الباقى فى الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها الا فـــى

البراسيم على حين شمل اسم اكد كل الاقليم ولم تعد بابل المدينه السياسيه فحسب بل العاصمه الدينيه للامبراطوريه كلها ٠

وتوالى الملوك بعد ذلك حتى جاء حمورابى (١٧٢٤) الذى جمع قرارات الانصاف وأمر بنقشها على الحجر ويعتبر القانون الموحد الذى عثر عليه فى سوسه واحد من هذه المجموعات التى نشرت بعد العام الاربعين من حكمه ٠ وأعلن الملك قواعد العرف الجديده وبدأ يطبقها على المجتمع الجديد الذى امتزج فيه السومرون والاكديون مع العموريين وقد ورد فى مستهل القانون الموحد عدد معين من المدن الخاضعه لبابل التى امتد نفوذها من لاجاش واريدو بالقرب من الخليج الفارسى حتى آشور ونينوى وهما مدينتان من مدن اشور ٠ وفى عهد حمورابى أصبح لمردوك اله بابل الذى كان من قبل الها من الدرجه الثانيه — وهو ابن انكى الذاريدو — مركز الصداره عن جداره وأصبح مجمع الالهه العظام يمنحه النفوذ الذى كان للاله الاعظم أنو ، وهكذا احلت بابل العاصمه السياسيه محل نيبور وأصبحت العاصمه الدينيه التى يلتمسها الأشوريون فى تقاليدهم الدينيه ٠

وعمل حمورابى على تنمية التجاره مع الغرب أى مع اقاليم البحر المتوسط التى كانت يجلب منها الحجر والمعادن والأخشاب المطريه التى لاتوجد فى السهول المنخفضه لدجله والفرات والتى

استطونها الساميون الغربيون — الذى يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم — وشق القنوات داخل مملكته لتيسير التبادل وزيادة رقعة الأراضى الزراعيه • وحارب حمورابى العيلاميين فى الشرق بالتضامن مع مدن بلاد الرافدين الجنوبيه ثم مالبث ان انقض بعد ذلك على لارسا التى كانت حليفته من قبل • وفى عام ١٦٩٣ ق•م رأى ريم سين ملك لارسا سلطان مدينته ينتقل الى البابليين وكان زمرى ليم حليفا لحمورابى فى حملاته ضد قبائل البدو الذين كانوا ينتهزون ضعف السلطه المركزيه ويستولون على الاراضى المزروعه • وفى عام ١٦٩٠ ق•م استولى حمورابى على مدينة مارى التى كانت قد بلغت مستوى رفيعا من الحضاره على الضفه الغربيه للفرات • وقد حكم حمورابى قرب نهاية حياته كل بلاد الرافدين •

ويمكننا ان نوجز تاريخ البابليين باختصار على النحو التالى :—

١ — الامبراطوريه الكلدانية الاولى (٤٠٠٠ — ١٣٦٠ ق•م)
وتتصل هذه الامبراطوريه بعهد نمرود الاسطورى حين كان قادة بابل وغيرها مستقلين يحملون اسم باتيزى Patesi أى القساوسه أو الكهنه الملوك •
والآثار الباقيه من هذه الفتره بما عليها من خطوط ونقوش تدل على ان القلدانيين كانت لهم مدينة عظيمه وكان

ملوكهم يشيدون الهياكل العظيمه في تلك العصور العريقه ·
وأول ملك هدتنا اليه تلك الآثار هو الملك شاروكينـو أو
سرجون القديم الذى كان متسلطا على اكـد وغزا سوميـر
وشيد في اكـد عـاصمه ملكه ـ معبدا شهيرا بقى ٣٠٠٠
عـام ورممه من بعده نابونيـد أحد ملوك بابـل
المتأخرين ·

وكان هذا الدليل الاخير هو الذى بنينا عليه حكمنا بـأن
الملك السابق قام ٣٨٠٠ ق·م لأن نابونيد قال فيما نقشه
عـلى أحد الاسطوانات الصلصاليه التى عثر عليهـا
مطمـوره في جدران هذا الهيكل الذى رممه ـ أن اعمدة
هذا الهيكل لم يرها أحد منذ ٣٢٠٠ عـام وقد عـاش
نابونيد ٥٥٥ ق·م وعلى ذلك يكون قد مضى على هـذا
الهيكل ٣٨٠٠ عـام · وكانت لملوك القـلدانيين لغـة
راقيه حتى ان سرجون القديم وضع في اللغه السوميرواكديه
مؤلفـات في السحر والعرافه وقد ترجم اشور بانيبال
آخر ملوك نينـوى هذه المؤلفات بعد تأليفها بنحو ثلاثين
قرنا · واستمرت هذه الفتره ستة وعشرين قرنا حـتى
سقطت قـلده تحت سيادة نينـوى ·

٢ ـ الامبراطوريه الاشـوريه الاولى من تاريخ غير معروف الـى
١٠٢٠ ق·م وكان الاشوريون يرون ان الاله اشـور هـو

مؤسس دولتهم وان عاصمتها الأولى كانت الأصر [1] .
وكل ما نعرفه عن هذه الفتره هو ان مصر بلغت درجة كبيره من القوه الحربيه فيها حتى ان تحوتمس الأول وصل الى كاركميش وان تحوتمس الثالث فرض الخراج على ملك الأصر وان امنحوتب الثانى استولى على مدينة نينوى ثم عبر نهر دجله . وعلى ذلك ظهر أول واكبر الملوك الغزاه الذى اعاد الى آشور مجدها واسم هذا الملك تجيلات بلاصر الاول . ولم تذكر الآثار الحجريه التى نقش عليها فتوحاته شيئا عن نهاية ملكه ويبدو ان بابل قد استردت حريتها فى ذلك الوقت . ويعد تجيلات بلاصر أول وأشهر ملوك الدوله الاشوريه ولم يحفظ لنا التاريخ سوى اسماء بعض أسلافه من الملوك وساد الغموض الى ان ظهرت الاسره الجديده وأسست الامبراطوريه الاشوريه الثانيه .

٣ — الامبراطوريه الاشوريه الثانيه ١٠٢ — ٦٢٥ ق . م .
بعد قيام الامبراطوريه الثانيه هجر ملوك اشور مدينة الأصر واتخذوا مدينة كالح [2] عاصمة لهم بدلا منها

---

(١) تعرف الآن باسم قلعة شرغات .
(٢) تقع هذه المدينه على نهر دجله عند ملتقاه بنهر الفرات واسمها الآن غرود وأعمال الحفر مستمره فيها للكشف عن آثارها العظيمه .

ولم تدم كالح طويلا لأن آشور ناصر بال ثامن أو تاسع ملوك الامبراطوريه الثانيه استبدل بها نينوى • وفي هذه الفتره كان الاشوريون يسمون أول عام من سنوات حكم كل ملك باسمه • وقد فتح اشور ناصر بال بابل وغزا سوريه وفينيقيه •

وقد حذا حذوه شلمناصر الثالث الذى كان لا يكف عن الحروف لأن الممالك التى كانت خاضعة لنينوى كان تثور ضدها كلما شعرت بفتور فى نشاطها الحربى وخصوصا بابل التى كانت تخضع لسيطرة نينوى مكرهه • وبعد هذا الملك خلفه بعض الملوك الضعاف فضعفت شوكة نينوى وسقط ملكها وظل هذا الضعف اكثر من نصف قرن حتى تبوأ العرش تجهلات بلاصر الثانى سنة ٧٤٥ ق•م فاهتم بالجيش واعاد لنينوى مجدها وبعد موت هذا الملك ووفاة شلمناصر الخامس بعده تولى الحكم اكبر قواد هم سرجون الذى أسس أسره جديده كانت من اكبر الأسر الغازيه فى العالم فأخضع كل الممالك القديمة التى كانت تابعة لنينوى وضمها الى دولته من جديد وأضاف اليها مملكة اسرائيل وجزيرة قبرص وفلسطين وارمينيه وجزءا من بلاد فارس • وقد شيد قصره الشهير باسم خوارازاباد وقد اكتشف هذا القصر سنة ١٨٥٠ م •

وبعد سرجون تولى الحكم سنحاريب واسر حدون من

٧٠٤ حتى ٦٦٧ ق٠م وبذل كل ما في وسعهما من أجل المحافظه على الملك وأعلن سنحاريب الحرب على حزقيا ملك يهوذا ثم انحدر الى مصر وضرب خيامه أمام بيلوز ولكن كارثه ظلت مجهولة الى الآن اضطرته الى التقهقر والعوده الى بلاده حيث لقى حتفه هناك على يد ابنائه أنفسهم ٠

وجاء بعده حفيده اشور بانيبال الذى رفع نينوى الى ذروة مجدها وانتقم من طيبه وتابع فتوحاته حتى شوشن فاستردها بعد أن ظلت في يد العيلاميين من ٦٦٠ق٠م واستعاد آلهة الكلداسيين التى نهبوها منذ ستة عشر قرنا ٠ وكان هذا الملك محبا للعلوم والفنون فاتم بناء قصر سنحاريب في نينوى — حيث كان الفن الاشورى قد بلغ أعلى درجات الاتقان — ثم جمع مكتبه كبيره يكشف علماء اللغات القديمه عن كنوزها يوما بعد يوم ٠ ولكن سرعان ماضعفت نينوى تحت حكم ابن اشور بانيبال نفسه ٠ وظهرت امبراطورية ساردى التى اتحد ملكها سياجزار مع بابل ومصر وسيطرت على نينوى وأسدل الستار على نينوى مره واحده ، ولا نعرف حتى الآن شيئا من أسرار هذا السقوط المفاجىء سوى اقوال الانبياء اليهود التى تدل على شماتتهم وغيظهم من نينوى وانذارهم لها بالعقاب الالهى الشديد[1] ٠

---

(١) انظر سفر ناحوم الاصحاحان الأول والثالث ٠

**الامبراطوريه الكلدانيه الثانيه**
**من ٦٢٥ الى ٥٣٣ ق٠م:**

سلبت بابل السلطه من نينوى وتولى نبوخذ نصر مقاليد الحكم فشن الحروب على الممالك الصغيره فى آسيا الوسطى : وأخضع اورشليم ونقل شعبها الى بابل أسرى — فيما يعرف بالسبى البابلى — وشن الحروب على صور التى فتحها بعد ثلاث عشر عاما من الدفاع كما هزم نيخو ملك مصر هزيمة ساحقه . واهتم نبوخذ نصر بتجميل بابل وبلغت المدينه قدرا كبيرا من الرفعه ، المجد والفن وفاقت نينوى حضاره وتمدنا حتى أصبحت أعجوبة العالم القديم وقد استمد مؤرخو الاغريق أبلغ تعبيراتهم فى وصف اتساعها وجمالها . كذلك اهتم بتنشيط الملاحه فى الخليج الفارسى ووجه اهتماما باعمال الرى فى بابل . وقد روت التوراه عنه ان الله عاقبه على شروره لأنه سبى اليهود وشردهم فمسخه دابة ترعى الكلا سبع سنين .

ولم يتمكن ابنه بيلشاصر من صيانة ملك أبيه فأخذت الدوله تضعف حتى غزاها قورش ملك فارس عام ٥٣٣ ق٠م ويحكى العهد القديم حياة بلشاصر آخر ملوك بابل وكيف فوجئ وهو وسط لهوه بالجيش الفارسى الذى دخل المدينه بعد ان حول مجرى الفرات[1] .

---

(١) دانيال الاصحاح الخامس .

ويشير العهد القديم الى أنه في ليلة الوليمه الكبيره التي أقامها بلشاصر لعظمائه كتبت يدا خفيه هذه الكلمات المزعجه : منامنا تقيل وفرسين وهى تنذر بخراب الدوله الكلدانية ، وقد تم خرابها فعلا قبل ان يبزغ الصباح . وذكر ارميا في كتابه ان صوتا رن تلك الليله في بابل ثم عقبه انهيار عظيم سمع صداه في كل انحاء المملكه لأن الله قضى على بابل بالخراب وقضى على أصوات ابنائها بالخفوت وقد تحدث سفر ارميا ايضا عن خراب بابل وضياع ملكها الى الابد(٢) .

(١) انظر سفر ارميا الاصحاح ٥٠ ، ٥١ .

## الفصل الثاني : الآداب والفنون عند البابليين

كان الانسان الذى استقر فى هذه المنطقه على مستوى كبير من الحضاره اذ انه فكر فى تشييد المدن على المنحدرات الصناعيه لكى يتقى الفيضان وبنى له بيوتا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانا من الماشيه وعرف كيف يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الرى ، وكان يشكل النحاس والفضه ويصنع الأسلحه من المعادن • وزرع هذا الانسان فى المنطقه الشعير والغلال وكذلك الذره والسمسم الذى كانوا يهتمون به لحاجتهم الى زيته • وقد ورد ذكر شجرة التين والرمان فى النصوص السابقه على عصر سرجون ورأى جوديا ان الآلهه تستحق ثمارها [1] • وكانت أشجار النخيل من أهم مصادر الثروه فى البلاد حيث يتخذون منها نوعا من الخبز ويستخرجون منها نبيذا وخلا وعسلا وفطائر ومئات من أنواع النسيج ، ويستخدم الحداد من نواها وقودا •

كذلك عرف هذا الانسان أيضا الحيوان — الذى ثبت وجوده من النصوص القديمه أو الصور المنقوشه — ومنه المستأنس

(1) Francois Thureau - Dongin - Les inscrptions de Sumer et d'akkad , 1905, P. 123

مثل الحمار ، البقره ، الثور ، الكبش ، الماعز ، الخنزير ، الكلب والدواجن ومنه غير المستأنس مثل الأسد ، البقر الوحشى ، التيتل ، الايل ، الفهد ، العنز البرى ، الصقر ، الثعبان ، والعقرب وغير ذلك .

واستطاع سكان بابل القدامى ان يبنوا بيوتهم — فوق مستوى الفيضان — من القصب ومن الطمى وكانت الأرض تمده بالماده اللازمة لصناعة اللبن الذى كان يحرقه أو يجففه فى الشمس كما كان يصنع منه أيضا كل الأوانى الفخاريه اللازمة للاستعمال فى الحياه المنزليه من أوان ، قدور و جرار ، وكما شكل منه اللوحات الصغيره التى كان يستخدمها فى تخليد الأحداث العامه أو تدوين مذكراته الخاصه وكان يتخذ من العظم والأصداف ادوات الزينه ولكنه لم يجد فى اقليمه معدنا أو حجرا واضطر ان يستورد قوائم أبواب القصر وكتل الديوديت أو المرمر التى كان ينحت منها تماثيل الآلهه والملوك ، والاحجار الكريمه التى كان يصنع منها الاختام المنقوشه ، وخشب الأرز الذى كانوا يزينون به هياكلهم ، وكذلك الذهب والفضه والحديد والنحاس الذى كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفه . وقد دفعهم ذلك الى توطيد علاقاتهم مع غيرهم من جيرانهم ، ففى الشمال الغربى توجد الجبال التى يكثر فيها الديوريت ، وتوجد مناجم الفضه فى جبال طورس عند غرب انحناءة النهر ، وفى امانوس ولبنان

توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الأبيض الى دلتا النيل .

وقد عرف البابليون الكتابه وكان الخط المسمارى الذى يستخدمونه يحوى مئات من العلامات التى تحتاج مجهودا كبيرا ووقتا طويلا لمعرفتها ؛ وكان يوجد فى جميع العصور عدد كبير من الكتاب من الرجال والنساء . وقامت المدارس التى كانت تعلم المطالعه وتدريس الكتابه والرسم على الطين . وكانت اشهرها مدارس سيبار فى الالف الاول ق.م [1] . وتكشف لنا بعض اللوحات من عصر حمورابى عن طرق التعليم وهى قراءة وكتابة العلامات البسيطه أولا مع دراسة قيمتها الصوتية ؛ ثم تعليم التلاميذ استعمال مجموعه من العلامات والاشارات ثم الصيغ المتداوله ويدرس التلاميذ فى النهايه الرياضه والموازين والمقاييس . وكان الكاتب يفخر بعلمه وكانت معرفة الكتابه والقراءة أمرا هاما وكان الكاتب لايفوته ذكر اسمه فى العقود أو نقشه على الاختام الاسطوانيه . وكان الكاتب يرسم علاماته على الواح الطين وهى لاتزال طريه وذلك بواسطة قلم مثلث منشورى الشكل يمسك به مائلا وكان الركن يترك خطا صغيرا . بينما تترك

---

(١) Vincent Scheil , Une Saison de Fouilles a Sippar , P.33

القاعده علامه اكثر أو أقل عمقا ويكون كل ذلك شكلا يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسماريه التى اطلقها المحدثون على الكتابه السوميراكاديه ٠

وقد تغيرت الكتابه من قرن الى قرن بل ولم تكن متشابهة تماما فى كل المدن فى عصر من العصور وكان لكل مدرسه طرقها وتقاليدها الخاصه ؛ ففى ايام ملوك أور مثلا كانت مدارس أوما تختلف تماما عن مدارس لجش المدينه المجاوره ٠

وفى عصر أور نرى أمين المحفوظات يجمع — فى سلسه — الاحكام التى أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاء وكذلك القرابين التى قدمت فى المعابد أو للآلهه فى مناسبات الأعياد ، ومايدفعه المستأجرون عاما بعد عام مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشعير والصوف للعمال الذين يعملون فى المؤسسات الملكيه للنسيج أو بيانا بمقدار الشعير الذى يسلم للبذر او الاستهلاك ٠ وهكذا فيما يختص بكل فرع من فروع النشاط الاجتماعى ٠

وكانت الرسائل ترسل من مدينه الى أخرى فى سلال مختومه وكانت تثبت كتله من الطهن الى عقدة الخيط الذى يربط السله ثم تهصم بخاتم الراسل ويكتب عليها اسم المرسل اليه ٠

وفى عهد الامبراطوريه الجديده انتشرت اللغة الآراميه فى

بابـــل وكان للأسرى المجلوبين من سوريا طريقة كتابه ابســــط
وأقرب من الناحيه العمليه من الخط المسمارى ، ومع أنهـــــا
لم تستعمل الا أن العاده جرت منذ القرن الثامن على استعمال
الآراميه فى مناسبات كثيره فى تدوين ملخص المستند على هوامش
اللوحات المسماريه ٠ وكان ذلك يعتبر عمل الكتاب الذيـــــن
يتقنون اللغتين معا وقد ساعد ذلك على تحديد نطق بعـــض
الحروف فى اللغه البابليه فى هذا العصر ٠ ولم يقف الكتـــاب
البابليون عند حد تضمين لوحاتهم حسابات أو عقود بــــل
رفعهم الأمراء الى ذكر أهم الاحداث فى فترة حكمهم علـــــى
قوالب المبانى والألواح الحجريه واللوحات ٠ وقد ســــجلوا
القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقى بل ان
هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارئ من الناحيه الأدبيه ٠

## قصيدة الخليقه :

كتبت قصيدة الخليقه تمجيدا لمردوك اله بابل وهى تهدف
ان تصور لنا كيف نجح هذا الاله فى صراعه مع تيامات وحصـــل
على مركز الصداره ٠ لقد اخرجت تيامات البحر وأبسو المحيط
من اختلاط مياههما الآلهه جميعا وحيث لم يرضيا عن خليقتهـــم
فقد قررا ان يقضيا عليها ٠ وعرف أيا اله الحكمه المؤامره وأسـر
أبسو ومومو أول مولادانهم ٠ وأرادت تيامات الانتقام لهمــــا

فخلقت جمعا من الجبابره بحيث تردد الاله انودايا في الدخول معهم في معركه ، وطلب مردوك عندما دعاه انشار الى ان يجد من مجمع الالهه قبل الموافقه على الدفاع عنهم فارسل انشار رسوله جاجا ليدعو أولا أقدم المعبودات لاهامو ولاهمو (١)

ذهب جاجا وسار في طريقه
وامام لاهمو ولاهامو الآلهه والداه
تواضع ، وقبل الأرض أمامهما .
وركع ثم قال لهما :
ارسلني انشار ابنكما
وكشف لي عن بغية قلبه
وهي ان تيامات امنا حملت الكراهيه ضدنا
وهي تجمع حشدا وتعصف غضبا .
استجاب لها الآلهه جميعا
حتى أولئك الذين خلقتماهم ... يسيرون الى جنبها
هم يلعنون اليوم .. والى جانب تيامات يتقدمون

---

(١) Paul Dhorme , Choir de textes religieux assyro Boby Loniens , 1907

انهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحه
انهم يستعدون للقتال ويدمرون ويثورون
ويكونون عصابه وينظمون المعركه
أم الجميع خالقة الأشياء كلها
جمعت أسلحتها التى لاتبارى وولدت أفاعى ضخمه
حادة النياب لاترحم فى القتال
استبدلت الدم بالسم فى اجسادها
وألبست التنانين المخيفه ثوب الرعب
وملأتها بالجلال والبهاء واعطتها سحنه متعاليه
حتى يهلك فزعا من يراها
حين تقوم اجسامها لايستطيع أحد ان يقاوم هجومها
لقد أمرت ان يتدفق الأفاعى والزواحف الوحشيه واللهامو
ووحوش العواصف والكلاب الغاضبه والرجال والعقارب
والأعاصير القويه والأسماك والكباش
التى تحمل أسلحه لاترحم ولاتخشى العراك

وبعد ان ذكر الرسول ان" قنجو " على رأس هذا الجيش المكون من أحد عشر نوعا من المسوخ استمر يقول باسم انشار :

لقد ارسلت انو ولكن لم تكن لديه القوه ليقترب منها
وخاف ابا وتراجع
فقام مردوك العاقل من بين الآلهه من ذريتكما

واستحثه قلبه ليواجه تيامات
وذكر لي من فمه
ان كان لي ... انا المنتقم لكم
ان أقيد تيامات بالاغلال لتبقوا أحياء
فاجمع مجمعا ومجدني وأعلن مصيري
اجلسوا جميعا فرحين في الـ ( ابشوكينا )
ولتقرر كلمة فمن المصائر كما تقررها كلمتكم
ليكن كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلا
لتكن الكلمه التي تخرج من فمي غير قابلة للتغيرأو التبديل .
اسرعا — سارط وحددا له مصيركما
كي يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب
وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال
وبكى الـ " اجيجي " (1) معابد موع مريره قائلين
من هو العدو الذي جعل المحيط يطفح
لسنا نقر عمل تيامات .
واجتمعوا وذهبوا
الالهه الكبار معا — الذين يحددون المصائر
وأتوا أمام انشار وملأوا ...
واحتضنوا بعضهم بعضا في المجمع

---

(1) الهة السماء .

وتحدثوا معا وجلسوا فى مأدبه
وغير النبيــذ الخلو من ...
وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشت اجسامهم مرحا
وأخذوا يصيحون كثيرا وقلوبهم فرحه سعيده
وحددوا لمردوك المنتقم مصيره .

ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عـزمه على ان يعجـــن الطين بدمـه ليقيم الانسان ... اجتمع الالهه مرة أخــــرى واعـلنـوا اسمائه الخمسين [1] .

كذلك نجد فى الأدب البابلى قصصا للطوفان منها قصيـدة جلجامش التى يصف فيها أوتانا بشـيتم — نوح البابلـــى — لملك اوردك كيف انه اكتسب الخلود . وهذه القصيدة تقول :

لقد بنى سفينته بناء على طلب الاله ايا
قال : حملتها بكل ماكنت أملك ... كل بذور الحياه .
وانزلت اليها اسرتى كلها وأقاربى
وماشية الحقل وحيوانات الحقل والصناع ... أنزلت كل ذلك
ثم دخلت السفينه وأغـلقت الباب .

---

(1) Louis Delaporte ,Cotologue des Cylindres Orientaux de La Biblioneque nationale , 1910 ,P.109

وعهدت الى بوزورانليـل — الملاح بقيادة السفينه
عـهدت اليه بكل ماتحـوى
ولما بزغ الفجر
خرجت من بطن السماء سحابه داكنه
وزأر " أداد "[1] فيها
وكان نابو[2] والملك ( أى الاله مردوك ) يسيران فى المقدمه
وسار المنادون فى الجبال والسهول
وانتزع نرجـال[3] الصارى
ومضى اينورتـــا[4] يقود المعركه
وحمل الـ " اتوناكى "[5] المشاعـل
والهبوا الأرض باضوائهم
وارتفع ضوضاء اداد الى السماء
وانقلب كل ماهو مضىء الى ظلام
فلم يعد الأخ يرى اخاه

---

(١) اله الاعـاصير .
(٢) المنادى الحربى للآلهه .
(٣) اله الجحيم .
(٤) اله الحرب .
(٥) الآلهه الجهنميه .

وأصبح الناس في السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر
وخشى الآلهه من الطوفان
فهربوا وصعدوا الى سموات انو
وربض الآلهه واضطجعوا كالكلاب على الحائط
واستمرت الريح والطوفان ست ايام وست ليالى
وساد الأرض اعصار
فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الاعصار
وكذلك الطوفان الذى كان قد حارب كجيش باسره
وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئه وتوقف الطوفان
ونظرت الى البحر وكان صوته قد سكت
وكانت البشريه قد تحولت طينا
وارتفع المستنقع الى السقوف
وفتحت النافذه وسقط الضوء على خدى
وانهرت على مقعد وظللت جالسا أبكى
وأخذت الدموع تسيل على خدى
نظرت الى العالم ... الى افق البحر
فرأيت هناك على بعد ١٢ ( مقياسا ) جزيره برزت
وبلغت السفينه جبل نصير [١]
واستوقف جبل نصير السفينه ولم يدعها تتحرك

---

(١) هذا الجبل يقع بين دجله والزاب الصغير .

ولما جاء اليوم السابع
أخرجت حمامه اطلقتها
ذهبت الحمامه ولكنها عـادت
عـادت لأنها لم تجد مكانا
فاخرجت سنونـو واطلقته
فذهب ولكنه عـاد
عـاد لأنه لم يجد مكانا
أخرجت غـرابا وأطلقته
ذهب الغراب ورأى الماء يختفى
وأكل ومشى فى الطين وتعب ولم يعد
فاخرجت من السفينه عددا اطلقته الى الجهات الأربع ...
وسكبت سكيبا
وقدمت قربانا على قمة الجبل
ووضعت ١٤ اناء " اداجور
واشتم الآلهه عبيرها
اشتم الآلهه عبيرها المعطر
وتجمع الآلهه كالذباب فوق القربان .

وكانت مشكلة الخير والشر تسترعى انتباه البابليين وكانـوا يرون ان الألـم يلحق بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما جعـل الرجل التقى الذى يرعى الواجب يتساءل عن سـبب نكبتـه

ويقــول (١) :

لم أكد أصل الى الحياه حتى عبرت الزمن المحدد
فاستدرت ... انه شر ... وشر اكثر
زاد الجــور على ولم استطع بلوغ حــقى
صرخت الى الهى ولكن لم ينظر الى
توسلت الى الهتى ولكنها لم تحن برفع رأسها
ان العراف بعرافته لم يحدد مستقبلى
والساحر بضحيه لم يستطع ان يجعل محاكمتى علنيه
لقد تحدثت الى العراف ولكن لم يعلمنى شيئا
ان الساحر برقاه لم يستطع ان يحل اللعنه التى أنا هدفها
ما اكثر اختلاف الاحداث فى العالم !
لقد نظرت ورائى : فوجدت الشر فى عــقبى
كأنما لم أقدم التقدمات بانتظام الى الهى
وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمه
وكأنما لم أحن وجهى وكأنما لم ينظر الى عــبادتى
فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات فى فمه
وكنت كمن انتهى يومه الالهى . لقد مات القمر الجديد .

---

(١) Paul Dhorme , Choix de textes religieux assyro - bobyloniens ,1907, P. 205

وأصبحت مثل الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
والذى لم يعلم اتباعه الخوف والاجلال
والذى لم يذكر الهه والتهم الطعام المخصص له
والذى هجر آلهته ولم يأت بالعقرر عليه
والذى كان ظالما والذى نسى مولاه
والذى نطق كلمة الهه القوى باستخفاف
اننى أصبحت مثل ذلك الرجل
ان مضطهدى يتبعنى كل يوم
وعند قدوم الليل لايدع لحظه اتنفس فيها
ان اعصابى متوتره من كثرة اضطرابى
فأرانى ملقى على سريرى كالثور ملوثا ببرازى كالشاه
لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضه
وضللت العراف التنبوءات التى جاءته عنى
ان صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن مرضى
ولم يضع العراف حدا لعجزى
ولم يأت الهى لعونى ولم يأخذ بيدى
ولم ترحمنى الهتى ولم تسر الى جانبى
القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (؟)
وانتهى الحزن علىّ حتى قبل ان اموت

لقد ردد الناس " كم هو مهدم " !

وسمع عدوى بذلك وفرح
لأن بشارة الخير قد وصلته فانبثق النور من قلبه .

ونجد كذلك نابونيد آخر ملوك الامبراطوريه البابليه الجديده ، يذكر بركات الآلهه عليه ويقول : " حين خلق مردوك سيد الآلهه العظيم سيد العالم ... حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكا مكرسا للعباد ، ليمارس السلطان . ورفع رأسه فوق الملوك جميعا . سعد الآلهه العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه انو وانليل العرش الى الأبد والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس الملكى جعله ايا خالق جميع الأشياء ... كامل الحكمه — اما بعليت ايل خالقة العالم فأكملت تكوينه . وأما نابو مراقب العالم فقد منحه العقل وأما سن ابن الامير فقد تبصر فى صورته وأما شماش ضوء الآلهه فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت امرته . واما إير العظيم القوى بين الآلهه فقد منحه القوه وأما زيابا المعظم فقد جعله كاملا فى هيئته واما نوسكو المخيف فقد زينه بابهة الملك ثم استدار الى روحه الحارسه حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الآلهيه واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل . واستدعته الآلهه المعظمه لمعونته حتى يستطيع تنفيذ أوامره [1] .

---

(١) Georges Contenau , La deesse nue Bablonienne, 1904, P. 113

ويعتبر بقية النص أيضا نموذجا طيبا للنصوص التاريخيه البابليه : نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعى الفطن الذى يحترم الآلهه العظمى ، الوكيل التقى ، الذى يعنى برؤيا الآلهه والذى يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهه وآلهات ابن " بابو بالاتسواقبى " الأمير العاقل . اننى منذ عين مردوك السيد العظيم أسمى سيدا على البلاد ومجد نابو ابن الامير اسمى الملكى ... اننى اكرر كل يوم احترامى لجلالتهم وأشغل نفسى باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتى بالايساجل (١) والـ " أزيدا " (٢) . اننى أقدم لهم خير ما لدى من أشياء جميله واهتم بأن لاينقطع تقديم القرابين وأبنى الهياكل تمجيدا لهم كما أبنى مدنهم العظيمه وأمجد اسماءهم على لسان كل الأحياء . أما بالنسبه لشماش القاضى العظيم والاله الفخم سيد سيبارفان الـ " أبارا " الهيكل الظاهر بيته الأصلى الذى لم يدع ملكا من قبلى يرى الـ " تمن " الخاص به فان شماش انتظرنى حتى اقيمه وقد وضعت أساسه على " تمن " نارام سن ورفعت رأسى حائط اوجال او مارو ؛ حائط كوثا وأمرت بحائط " ميلام كوركورا دولا " حائط كيش

---

(١) معبد مردوك .
(٢) معبد نابو .

ان يرتفع كالجبال • اما بالنسبه للسيد الأعظم اوراش فقد جددت — كما كانت الحال من قبل — قصر الأعياد الهادى • وأما عن المدينه — بين بابل وبورسيبا — فقد رفعت أبراجها بالاسفلت والآجر وادخلت ناننا المؤسره الى هيكلها (١) •

ويوجد لدينا عدد من الخطابات يرجع الكثير منها الى عصور الاسره البابليه الأولى • فيشير بعضها الى شئون الدوله والبعض الآخر يتعلق بأمور شخصيه • ويهدف النوع الأول بتصفية المنازعات أو ابلاغ أوامر أو تقارير • وهذا النوع يعرفنا بالعرف المتبع والتقاليد والأحداث • وتوضح مراسلات حمورابى مع " سن ايدينام " محافظ لارسا كيف كانت السلطه المركزيه تعنى بادارة شئون الدوله وتهتم بأقل التفصيلات وتركز فى بابل أدارة جميع الشئون • ولقد كانت ثروة المعابد ضخمه وكان للمشرفين عليها نفوذا واسعا وكان حمورابى يطلب حسابا عن ايراداتها ويهتم بالترميمات أو اعادة البناء أو زخرفة الهياكل •

ولما كان الأمر يتطلب أعمالا انشائيه كبيره فانه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد اجورهم وكان البيت فى بعض الشئون من اختصاص السلطات المحليه فاصبح من اختصاص السلطه

---

(١) Georges Contenau P.114 المرجع السابق

المركزيه . ولم يكن الملك يكتفى بجمع الأحكام القضائيه ووضع التشريعات واصلاح بعض المساوئ فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه فى القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات. وقد حدث أثناء حمله ضد ايموتبال[1] ان استولت الجيوش الملكيه على الهات هذه البلاد وحملتها عند عودتها الى بابل . وطبقا للعقائد الدينيه كان يجب ان يقابل هذه الآلهه الأسرى باحترام وان توضع فى معابد الآلهه البابليه حتى تصبح مواليه للغزاه فيسمح لها ان تعود لهياكلها توطئة لتسهيل الغزو السلمى للمقاطعه التى تخضع لسلطتها الشرعيه . ولقد كتب حمورابى عنها الى سن ادينام يقول :

ضع الآلهات فى الحال على مركب وأرسلها الى بابل . ودع داعرات المعابد يصحبنها . ولتحمل السفينه طعاما من أجل ولائم الآلهات وكذا شرابا وصغار ماشيه ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن الى بابل . وليمهن من يعملن فى جر المركب ولنأت الآلهات الى بابل دون عائق ولا يتأخرن بل يأتين بسرعه الى بابل [2] .

---

(١) اقليم يقع على حدود عيلام .

(٢) Leonord W.King , The letters and inscriptions of Hammurabi ,1898, n.34.

وهناك كتاب آخر موجه الى حاكم لارسا يأمر فيه باعادة نفس المعبودات الى معابدها : " قل لـ " سن ادينام هكذا يتكلم حمورابى : ان الهات ايموتبال اللاتى تحت رعايتك سوف تحضرها جيوش "انو حسامار" لك تحت حراسه قويه وحين تصل اليك ضم هذه الجيوش الى جيوشك وأعد هذه الالهات الى هياكلها (1) .

اما بالنسبه للفنون فاننا نجد ان المساكن الاولى عند سكان سومير واكد كانت عباره عن خيام أو أكواخ من القصب ، وكانت هذه الأكواخ تغطى بطبقه من الطين . وعندما لاحظوا ان الطين يكتسب صلابه من حرارة الشمس فى الصيف بدأوا يفكرون فى تشكيل هذا الطين فى صورة مكعبات تترك لتجف ثم يضعون بعضها فوق بعض ويضعون بين هذه القوالب الطين غير الجاف ومن هنا جاءت لهم فكرة الحائط من الطوب .

وبعد أن تقدمت الصناعه عندهم اخترعوا القيشانى الذى ساد استعماله فى الامبراطوريه الجديده ، وكانوا يكسون به حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الاشوريين .

---

(1) نفس المرجع السابق ملحوظه ٤٥ .

ولم يكن الحجر مستعملا قبل حكم نبو خذ نصر الثانـــي سوى فى ارزاز الابواب فى المعابد والمنشآت العامه . ويذكر لنـا هيرودوت وديودور انه كانت هناك قنطره من الحجر فوق الفرات عـند بابل فى القرن السادس ؛ ومن الملاحظ ان الدعـائـم السبع التى كشف عـنها مصنوعـه من الآجـر ؛ وقد استعملـت الاحجار فى ذلك العصر لرصف الطريق المقدس فى بابل وللحدائق المعلقه والحائط الشمالى للقلعه .

وكان المبنى فى الغالب مستطيلا متوازى الأضلاع ســـواء اكان قصرا أم معبدا أم مسكنا خاصا يرتكز أصلا على مرتفع مـــن البناء يحميه من الفيضان . وكان هذا المرتفع — ويســـمى " تمنـون " — عباره عن اربعة حوائط من الطوب الذى غـالبـا مايكون آجرا يملأ مابينها بالتراب والانقاض وغيرها وكانت تتخللـه مجارى بقصد حمايته وتجنب تجمع مياه المطر .

وكانت المنازل تشيد أحيانا كلها من الآجر وأحيانا أخـرى تقوم على بعض صفوف فقـه وقد استعملت الطريقه الاخيرة فـــى بابل منذ أيام حمورابى حتى سقوط الامبراطوريه . وكان قصـر نبو خـذ نصر الثانى فى بابل مكونا من مبان موزعه حول أربعـــة أفنيه رئيسيه وكانت قاعـة العرش تواجه الشمال وتقوم فى ثالـث الأفنيــه وأوسعـها وتتصل بكل المبانى المجاوره . وكانت الزينـه الوحيده لهذه القاعـه مشكاه ضخمة حيث يجلس الملك وكانت تـرى

من الفناء • وكان سمك الحوائط ستة امتار وكلها مطلية باللـون الأبيض • وكانت حوائط البهو مزخرفه بطوب مغطى بالمينـاء وزخارف مستوحاه من الفنين الحيثى والاشورى وهى تتكون من عمد صفراء على ارضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطا عريضا مرصعا بالزينات المختلفه • أما الغرف الشخصيه فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول اليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بئر بين دائرتين •

وفى الركن الشمالى الشرقى من القصر عثر على مبنى ضخم مكون من أربع عشرة غرفه مقببه مرتبه فى صفين • وكان يحيط بالقلعه التى كان يشغل القصر معظمها سور مزدوج • وكان الحائط الخارجى لمدينة نبوخذ نصر مصنوعا من الآجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧,٨١ م • اما الحائط الداخلى فقد بنى من اللبن بسمك أقل وجهز بابراج على مسافات متباعده منتظمه بارزة فى الجانبين •

ولعل أجمل أثر فى بابل هو بوابة عشتار التى أعاد بناءها نبو خذ نصر الثانى ؛ وهى تقع بالقرب من القلعه عند النقطه التى يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينه القديمه • وكانت مكونه من جنبين من الآجر يمت كل واحد منهما الى أحد حوائط المدينه وكان كل مبنى منهما يغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلهما بهو يحيط به حائطان صغيران

اما فى الجانبين الآخرين فان البوابه تقع على جانبيها جنـــاح يتخلله ممر • وعلى ذلك فقد كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفـــه تغلق عليها ثمان بوابات • وزينت الواجهه كلها والممر الرئيسى بحيوانات رتبت فى صفوف أفقيه يمثل كل منها نوعـا معينا :

ثور اداد وتنين مردوك • وقد وصل عـدد هذه الصـور الى ٥٧٥ صوره منها ١٥٢ مازالت قائمه فى اماكنها • ولقد سور نبوخـذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هـذه البوابه وذلك بواسطة حائط سمكه ٧ متر تقع على جانبيه ابـــراج تقوم بينهما سـباع منقوشه نقشا بارزا ويـبلغ عـددها ستين فى كل ناحيه وهى تواجه المدينه • وكان الطريق مرصوفا بالبـــلاط العريض من الحجر الجيرى ويـبدو ان هذا الطريق كان مخصصا للمشاه والمواكب الدينيه • وبعد سـيره بجوار الزيجـورات فـى الشرق نراه ينحرف فى زاويه قائمه تاركا معبد مردوك الى اليســار حتى يصل الى كوبرى الفرات ثم يهبط مرة أخرى من الشمال الـى الجنوب فى اتجاه بورسـيبا • ويظهر ان البابليين كانوا يهدفون الى ضـبط زوايا مبانهم على اتجاهات البوصله مما كان يسمـــح بعدم حرمان أى واجهه من الشمس ولم يكونوا يقيمون أى مبــنى بدون تأدية طقوس معينه • وقد اعـدوا تحت الحائط أو الرصيف مخابىء صغيره خبأوا فيها نقوش تذكاريه ترافق تماثيل صغيـــرة واقـية وأحيانا تمائم وأشياء أخرى •

ولم يلجأ سكان بابل الى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل أو للنقش عليه بل أنهم كانوا مهره فى استعمال المعادن وخاصة النحاس فقد كشف فى تللو عن قرن لثور بالحجم الطبيعى مكون من رقيقه من النحاس ملفوفه حول قالب خشبى وملصقه به عن طريق مسامير صغيره ، ولقد صنع سن ايفيشام لنفسه أحد عشر تمثالا من الفضه وواحدا من الذهب للاله شماش ، وأخذ فن النحت فى الحجاره أو المعدن أو حتى الطمى المجفف فى الشمس من التشكيل بالطين . وفى عصر جوريا وملوك أور سادت المناظر الدينيه التى كانت تمثل المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة الهه الخاص الحارس .

## الفصل الثالث : المعتقدات الدينيـــه

كانت الفكره الاساسيه في جميع الأديان هي الاعتقاد فـي ان هناك كائن أعـلى تعتبر الانسانيه مدينه له بواجبات معينـه . وقد آمن السومريون والاكديون بوجود عـدد كبير من المعبودات نسبوا اليها العواطف الانسانيه وأسبغوا عليها نفس طريق الحياه وان كانوا قد رفعوهم عن الجنس البشري بأن منحوهم الخلـــود واعـتقدوا أنهم رحماء في كل الظروف . وكانوا يعتقدون بأنـــه لايوجد اله شرير بل ان الأرواح الخبيثه ـ التي ربما كانـــت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهه ـ هي التي تسبب الشر فـي العالم ؛ ولم تكن هناك عباده لهذه الأرواح الخبيثه بل كـــان الناس يحاولون مقاومتها واتقاء شرها عن طريق السحر .

ولم يكن في خيالهم ان هناك كائن أزلي دون بدء بـــــل كانوا يرون انه لم يكن هناك شيء كائن عـند نشأة العالــــم وان هذا اللاشـيء يضم عـنصرين من الرطوبه مختلفين : الأول هـــو ذكر هو أبسو وهو محيط الماء العذب الذى كان يحيط بالعالم ؛ والآخر انثى هي تيامات البحر وقد ولدت لهما كل الكائنات كما يدل على ذلك قصة الخليقه (١) .

---

(١) Edward Cug.Notes d'epigrophie et de papyrologie Juridiques , 1908-1909, P.3-5.

وقد اعتقد البابليون فى ثلاثة آلهم هم الثالوث الأعظم لمجموعة الآلهه البابليه : انصر و انليل وأيا • وكان أنصر الاله الاكبر يحكم فى السماء وانليل سيد الجو والأرض وكانت ايا ـ التى تسمى فى السومريه انكى ـ تحكم امواه المحيط وكان لكل منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة السماء (١) .

وكان أنو يعتبر الاله الأعظم منذ أقدم العصور وكانت مدينته أكاد وهو الذى يسميه حمورابى فى مستهل قانونه بالاله الاعظم • وكان يسكن قمة قبة السماء ويحرس بوابته معبودان هما تموز وجيزايدا وكان يوضع أمامه الصولج ، العصايه ، التاج وعصا القياده • وعندما خاف الآلهه من الطوفان هربوا وصعدوا الى سماء أنو ورقدوا وظلوا هناك حتى اشتموا الرائحه الجميله للضحيه (٢) .

وكان هناك ثالوث ثان مكونا من سن الاله القمر وطفلاه شماش اله الشمس وعشتار نجم الزهره • وكان سن يقيس

(١) F.X. Kugler-Sternkunde and Sterndienst in Babel 1907, P.259 قارن أيضا Edouard Cuq المرجع السابق P.179.

(٢) Edouard Cuq المرجع السابق P.155.

الزمن وينهى الأيام والشهور والسنين وكان يرمز له بالهلال وكان يعبد فى أور تحت اسم نانا وقد انتشرت عبادته فى البلاد الآراميه . وكان شماش القاضى الأعظم وكان له طفلان هما كتو وميشار أى العداله والحق وهو الذى أملى قوانين العداله على حمورابى .

أما عشتار فهو معبود ذكر فى الصباح والهه انثى فى المساء وهى احيانا ابنة أنو واحيانا أخرى أبنة سن وهى الهة الحرب والهة اللذه وهى أخت شمش اله النور وفى نفس الوقت اخت ايرشكيجال معبودة العالم السفلى . وفى عصر حمورابى استطاع ان يرفع مردوك الاله المحلى الى المرتبة الأولى وكان هو الذى فى يده تقرير مصير البشر وكان الهه بابل وبور سيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنه الجديده ليقدموا له ولاءهم وكان ينظم فى الطريق المقدس موكب عظيم . وكان الآلهه يجتمعون هناك فى اليومين الثامن والحادى عشر ويحيونه فى رهبه ويركعون امامه وكانت المصائر تحدد آنذاك بالنسبه للسنة كلها . وكان الاله يسكن المعبد مع زوجه وأطفاله وخدمه . ويوجد لدينا ـ من عصر الامبراطوريه البابليه الجديده ـ أربعة معابد فى نفس مدينة بابل وقد امكن الكشف عن التصميم الكامل لها . وتتضح لنا من دراسة هذه البقايا ان المعماريين كانوا يتمتعون بحرية كبيره فى ترتيب الأجزاء المتعدده للمبنى . وكانت هذه المعابد

عبارة عن منشآت مستطيله على وجه التقريب لهـا زوايا تحـدد اتجاهاتها وكانت الحوائط مقسمه على مسافات متساويه باعمـدة مربعه تزينها قنوات مدرجه أو شبه دائريه ؛ ويؤدى الى الفنـاء الأوسط مدخل أو اكثر ببوابات مزدوجه مغطاه بالبرونز ومرتكزه على دعائم حجريه ويربطها مزلاج يثبت الدعامه فى الأرض . وكان هذا الفناء الأوسط مزينا بأعمده مربعه تزداد تعقيدا بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسى وأمام الهيكل . وكان هـذا الهيكل يقع عند طرف البهو الى الغرب أو الجنوب الغربـى . وقد غطى بنو خذ نصر الثانى حوائط مقصورة مردوك بالذهـب اللامع وكان من المعتاد ان توضع فى اساس كل معبد صور واقيـه ولم يكشف عن أى مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فانه يوجـد مذبح آخر من اللبـن المجفف فوق ارضية معبد اينورتا . وكانـت التضحيه تـتم فى الخارج ولم يكن مسموحا لغير الكهنه والأميـر بالدخول الى قدس الأقداس فى حضرة الاله . ويقـول هيرودوت : " انه يوجد خارج قدس الأقداس بالايساجيـل مذبح ذهبى وآخر كبير جدا لذبح الماشية " (١) .

وكان رجال الكهنوت ينقسمون الى ثلاث مراتب : السحـره وهم الذين يستعطفون الآلهه ويبعدون الأرواح النجسـه ؛

---

(١) Herodote 1, P. 183.

المنجمون الذين يتنبأون بالمستقبل ثم المغنون الذين يباشرون وظائف الشامسة .

وكان الكاهن من الطبقه الأولى يحمل لقب ماشاش وكان الكاهن الذى يخفف الغضب عن قلوب الالهه الغاضبه بغنائه يسمى " كالو " وكان عليه ان يذهب فى أيام معينه الى المعبد لكى يقدم التضحيات ويرتل المراثى المقدسه مستعينا بمختلف آلات الضرب وكان يستعمل طبله ضخمه عثر على صورتها على قطعة من اناء فى اللوفر .

ونجد كذلك " الاشيبو " وهو الذى يطهر المرضى والآثمين بواسطة الرقى والطقوس السحريه وهو يعمل بفضل ايا الــه اريدو او بفضل مردوك ويقول :

السيد العظيم الاله ايا ارسلنى
لقد أحل رقيته المقدسه محل رقيتى
ووضع فمه المقدس مكان فمى
ووضع لعابه المقدس مكان لعابى
ووضع صلاته المقدسه مكان صلاتى (١)

---

(١) Paul Dhorme , La religion assyro-bablon-inner 1910,P. 287 .

وكانت الطبقه الثانيه من رجال الدين تضم المنجمين الذين كانوا يكرسون حياتهم لادراك الغيب عن طريق دراسة الأواني [1] و كما كانوا يفسرون الاحلام ويلاحظون الظواهر المختلفه وكانـــوا جميعا يحملون الاسم العام " بارو " . ولم تكن العرافه مقصورة على الأمور الخاصه بل كانت تتصل بالشئون العامه أيضا . وكانت مهام المنجم وراثيـه وكان يعتبر نسل كاهن مولود من كاهـــن سليم ولايكون فيه عيب جسمانى . وكانت العرافه تتنـــاول كـــل الظواهر المختلفه ؛ ونظرا لأنهم كانوا يعتبرون أكباد الحيـوان هى مقر الحياه فانهم كانوا يرون فيها نوايا الاله الذى تقبـــل الحيوان المضحى به . وكان لابد ان تكون الأضحيه خاليه مـن العيوب وان يضحى بها وفقا للشروط المقرره فى الطقوس والــتى تختلف باختلاف ساعات النهار . فـفى الفجر مثلا كان الالـــه على استعداد لكى يقـبل شاه . وكان العراف يضع امام الالـــه موقدا وعلى مائدة خلف الموقد اربعة اوان بها خبر السمسم ه ٣٦ كعكه ومزيجا من الزبد والعسل ثم الملح أخيرا . وبعد ان ينفخ الكاهن الموقد يمسك بصاحب القربان من يده ويتلو هذا الدعاء : فلان عـبدك ( هو يقدم تضحيته فى ساعـة الصباح ) الا فليقدم نفسه أمام الوهيتك ... الخ .

---

(1) Francois Thareau , dongin , les inscriptions de sumer et d'akkad , 1905,P. 80

وكان العراف يستطيع أيضا أن يدرك الغيب عن طـريـق استقراء الأوانى وكان يعرف هل سيشفى المريض أم لا ، وهـل المشروع المقترح سيفلح أم لا تبعا للوضـع أو الصوره اللذيـن تسقط بهما نقطة الزيت فى اناء الماء . وكان الالهه يتصلوا ببعض الأشخاص من الأتقياء عن طريق الأحلام لكى يعلنوا لهـم ما سوف يحل بهم وكان يعهد بتفسير الاحلام الى كاهن خاص هـو الشـائيلو ؛ كما كان الآلهه يظهرون رغباتهم عن طريق حركـات النجوم ؛ وكان الأمر كذلك بالنسبه لظواهر اله الشمس شـماش والالهه عـشتار ( كوكب الزهره ) ؛ مردوك ( المشترى ) ونجـوم أخرى ، قد اضيفت اليها الظواهر الجويه مثل الزوابع ، الأمطار ؛ البرق والزلازل كظواهر للاله اداد سيد العاصفه .

وكان الملوك يخشون الآلهه وعلى ذلك كانوا يوجهون لهـم الدعـاء أو الصلاه والتضحيه كما يوضح لنا النص الآتى :

قدم الخضوع كل يوم لالهك
التضحيات والصلوات والبخور الواجب
ليكن قلبك نقيا أمام ربك
ان هذا هو مايرضى المعبود
ان انت قدمت له التوسل والدعاء والصلاه والسجود كل صباح
فانه سوف يمنحك كل الكنوز
وسوف تزدهر ايامك بفضل الهك

وبعقلك راع اللوحه
الخوف يولد الرفق أو العاطفه
والتضحيه تطيل العمر
والصلاة تخلص من الاثم [(١)]

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحه وكانت السوائل تستخدم عن طريق اراقتها • وقد قدم حمورابى مأكولات وأطعمه طاهره امام الالهه وصب نبوخذ نصر نبيذا فى ماء النهر على مائدة مردوك • وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا وهى موجوده بكثره فى المناظر المحفوره فى الألف الثالث م والواقع ان الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القربان :

الحمل فداء للبشر
لقد قدم حملا بدلا من حياته
لقد قدم الحمل بدلا من رأس الانسان
لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الانسان
لقد قدم صدر الحمل بدلا من صدر الانسان [(٢)]

---

(١) Edouard Cuq , La propriete Fonciereen chaldéé 1906, P.21.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٧٤ •

## الفصل الرابع : النظام السياسي والتشريع

كانت المدينه عباره عن خليه لها حياتها الخاصه وتأسيسها يعتبر عملا دينيا لايمكن القيام به الا بناء على أوامر الآلهه العظام وذلك لأن المدينه قبل كل شيء مركز للعباده . وقد سبق ان ذكرنا ان اسم بابل هو بوابة الاله وعندما انشأ ملوك الاسره البابليه الاولى مدنا جديده اعطوها اسماء تشمل اسم الاله مثل " كارشماش " ومعناها قلعة الاله شماش وكذلك نورادد ومعناها نور الاله اداد . وكان الاله يسكن المدينه مع زوجه وأولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه أغنى المساكن . ولم يكن الاله يدير شخصيا شئون المدينه بل كان يختار وكيلا : ملكا أو ايشاكو كانت تعهد اليه رعاية شئون شعبه وكان هذا الملك يؤدى فى نفس الوقت الأعمال الكهنوتيه فهو الكاهن الاكبر لاله البلد أو المدينه . وكان الملك باعتباره المشرف على الاداره المدنيه والدينيه لايلبث ان يؤله نفسه وأقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل على مسلة مانيشتوسو وهو : شاروكين ايلى Sharrou-Kin-ili ومعناها سرجون هو الهى .

وفى العصر السابق لعصر سرجون كان للأمير زوجه لها أملاك واسعه تديرها بنفسها وكان لها قصرها الخاص كما كانت

تشترك فى تصريف شئون الدوله وكان لأولاد الأمير بيتهم وما السى ذلك من خدم وسقاه وحائكات ونساجات وطاه ، نجار ، موسيقى وزراع ومزينون وغيرهم . وكان أهم موظف هو ناظر القصر حيث يعتبر هو المنظم لمشروعات المنافع العامه والشئون الزراعيه وأمين خزانة الملك وناظر السراى ومسجل العقود . ويميز القانون البابلى بين الرجل الحر والعبد وعلى ذلك فان مركز العبد فى النظام الاجتماعى يقل عن مركز الرجل الحر حيث كان العبد ملكا لسيده سواء كان مولودا فى بيته أو مشترى أو كان أسير حرب .

ومن أهم مظاهر الحضاره البابليه فى التشريع قانون حمورابى الذى نقش على كتله من الديوريت ارتفاعها ٢,٥٢ مترا ومحيطها ١,٩٠ مترا عند القاعده وقد عثر عليها فى أطلال مدينة سوسه حوالى ١٩٠٢ ميلاديه وقد تكسرت الى ثلاث قطع ونقشت مواد القانون التى تبلغ ٢٥٠ ماده فى ست واربعين عمودا على محيط الكتله الحجريه ؛ كما زين الجزء الأعلى من الكتله بمنظر يمثل اله الشمس " شماش " جالسا على عرشه وهو يملى على حمورابى الماثل أمامه مراسيم العداله . ويبدو واضحا من هذا النص ان الملك قد انتهى من صياغة قانونه وأصدره فى العام الحادى والأربعين من حكمه .

والواقع ان حمورابى اعتمد فى قانونه على الكثير من

القوانين السائده بين الناس بحكم العرف والعادات ؛ والدليل على ذلك انه يقول : فى حالة عدم ورود نص يختص بجريمة ما يحكم فيها حسب العرف السائد فى المنطقه . وقد احتفظ قانون حمورابى بجوهره مدة خمسة عشر قرنا رغم ما طرأ على أحوال البلاد من تغيير ورغم ما أدخل عليه من تفاصيل . ومن الغريب حقا ان هذا التطور كان يهدف باستمرار الى استبدال العقوبات الدينيه بأخرى دنيويه أو بمعنى آخر كان يهدف الى استبدال الرحمه بالقسوه والغرامات الماليه بالعقوبات البدنيه .

ويبدو واضحا من قانون حمورابى انه حدد العقوبات التى يستطيع القضاة توقيعها فى حالات معينه فمثلا عقوبة الاعدام يمكن ان تصدر على من اقترف الجرائم الآتية :

١ — اللص الذى يسرق كنوزا من المعبد أو قصر الأمير .
٢ — شاهد الاثبات المزور فى قضيه جنائيه .
٣ — الشخص الذى يشترى أو يأخذ وديعه شخص قاصر أو عبدا دون ان تكون عنده وثيقه بذلك أو شهودا على ذلك .
٤ — اللص الذى يسرق منقولات ذات قيمه .
٥ — الشخص الذى يخفى الأشياء المسروقه أو يبيعها .

٦ ـ الشخص الذى يتيح فرصه لهرب أحد العبيد أو ايواء عبد أو قبول خدماته اذ أنها جميعا تعتبر من جرائم السرقه •

وهناك عقوبات أخرى رادعه مثال ذلك :

١ ـ اذا انهار منزل وقتل من اشتراه حكم بالموت على مهندسه وبانيه •

٢ ـ اذا انهار منزل وتسبب عن سقوطه موت ابن المشترى حكم بالموت على ابن البائع أو ابن البانى •

٣ ـ اذا ضرب رجل أباه عوقب بقطع يده •

٤ ـ اذا ضرب انسان طفلا ومات يحكم بالموت ليس على الجانى بل على طفله فيضرب حتى يموت •

٥ ـ اذا كسر انسان لرجل شريف سنا أو فقأ له عينا أو هشم له طرفا من أطرافه حل به نفس الأذى الذى سببه له •

٦ ـ اذا استبدلت قابله طفلا رضيعا بآخر وثبت سبق اصرارها قطع ثدياها •

٧ ـ اذا تسبب طبيب اثناء اجراء عمليه جراحيه لمريض فى موته أو فى فقد عين من عينيه قطعت أصابع الطبيب •

٨ ـ يقطع لسان الطفل الذى هجره أبواه للدعاره

ان هو أنكر أبويه اللذين تبنياه ٠ وان هجر بيتهما ليعود الى بيت ابيه وأمه أمرت المحكمه بفقىء عينيه ٠

٩ — كل من ضرب شخصا من مرتبه أعلى من مرتبته على يافوخه يجلد بسوط من جلد الثور ستين جلده ٠

١٠ — ينفى الأب الذى يتصل بابنته اتصالا جنسيا ٠

وهكذا كان قانون حمورابى قاسيا فى توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف السائد أو يقترف اثما لايتفق مع الاخلاق العامه ؛ فمثلا عقوبة الاعدام كانت فى حالات منها : هتك العرض ، خطف الأطفال ، قطع الطرق على القوافل ؛ الجبن فى ميدان القتال ، سوء استعمال الوظيفه ؛ المرأه التى تتسبب فى قتل زوجها لكى تتزوج من غيره ٠

وتناول القانون أيضا مشاكل الوراثه فخص أبناء الرجل بتركته دون زوجته واذا مات الرجل عن زوجته فقط كان لها الحق فى مهرها وفى هدية عرسها وظلت ربة البيت مادامت على قيد الحياه ٠ وكانت هناك محاكم وهى نوعان : كهنوتيه ومدنيه ٠ وتتكون المحكمه فى الغالب من ستة قضاه كانوا رجالا محترفين لأنهم يحملون لقب قاض ٠

# الباب الثانى
# الحضاره الفينيقيه

## الفصل الأول : موقع فينيقيه الجغرافى وتاريخها

تقابل فينيقيه معظم الاقليم الساحلى من سوريا الحاليه ويحدها جنوبا جبل الكرمل وشمالا خليج إسوس ثم اقليم مدينة ارادوس وهى ارواد وحوض نهر اليتر ( النهر الكبير اليوم ) ويحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان ومن الغرب البحر ٠ وتتكون أرض فينيقيه من رواسب جيريه وكانت الى نهاية العصر الجيولوجى الثالث هضبه تغطيها المياه ٠ وقد حدد مصير فينيقيه وضعها الجغرافى حيث لم يكن سكانها يطمعوا فى العيش على الزراعه لأن السهول الحقيقيه لاتمتد الا فى الشمال قرب مصب نهر اليثير وفى الجنوب قرب عكا ٠ وفيما عدا ذلك باستثناء صيدا وصور وسهلهما حيث يتألف من هاتين المدينتين من المسافه الواقعه بين رأس الأبيض الى نهر اسكليبيوس[1] السهل المعروف باسم سهل فينيقيه — نرى الجبل لايترك من المسافات القابله للزراعه مايكفى لمعيشة

---

(١) هو نهر الأولى اليوم ٠

السكان وعلى ذلك تعلق مصير فينيقيه بالبحر •

ولاتوجد أنهار كبيره فى فينيقيه لأن الجبال قريبه جدا من الشاطئ وكل الوديان عباره عن نهيرات تفيض بالمياه فى فصل المطر وتكاد تجف فى اثناء الصيف • اما فى الاقليم الواقع بين سلسلتى جبال لبنان فيجرى نهران أولهما الأورونت (١) وينبع من جبال لبنان الشرقيه ويتجه شمالا الى ان يصب فى البحر بعد ان تغمر مياهه ارض انطاكيه ؛ والنهر الآخر نهر ليونيتس (٢) وهو يجتاز ممرا عند جبل حرمون الكبير ثم يبلغ النهر البحر عند صور ويسمى فى هذه المنطقه نهر القاسميه •

وكان الفينيقيون محصورين فى شريط ضيق من الأرض لأن جبال لبنان لاتبعد عن البحر اكثر من ٥٠ كم بل يقترب الجبل من البحر فى بعض المناطق فيصبح على بعد ١٢ ، ١٥ كم وفى بعض المناطق يلاصق الجبل البحر • وقد استغل الفينيقيون هذا الموقع الجغرافى فأسسوا مدنهم عند الرؤوس وفضلوا المواقع التى توجد فيها جزر قريبه من الشاطئ مثل أرادوس ؛ صيدا وصور واستقروا فيها •

---

(١) هو نهر العاصى اليوم •

(٢) يسمى اليوم نهر الليطانى •

ويرى البعض ان لفظة فينيقيه معناها بلاد النخيل لاشتهار هذه البلاد بالنخيل قديما ولكن الأرجح هو أن اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى فوينيكس Phoenix . وهذه البلاد كانت مشهوره منذ القدم باشجار الفاكهه كالتين والجميز والزيتون . وكانت كل أشجار الجبال من البلوط وأشجار الصنوبر والسرو وكانت ثروة البلاد بوجه خاص من أشجار الأرز .

وكان الفينيقيون يزرعون فى السهل واطراف الجبل الحبوب والخضر والكتان . وأهم المدن الفينيقيه من الناحيه السياسيه والدينيه مدينة جبل وكانت مركزا مقدسا للعباده ، ومدينة صيدا وتلقب بالمدينه الأم فى كنعان ، صور التى كان لها دور عظيم فى تأسيس العقائد فى الدين الفينيقى الى جانب ازدهارها التجارى ثم مدينة أوجاريت التى تسمى اليوم رأس شمرا .

وتتصل فينيقيه بشبه جزيرة سينا ومصر فى الجنوب من ناحية فلسطين . وتتصل بساطالى واديى دجله والفرات فى الشمال . وعلى ذلك لم تكن فينيقيه تستطيع ان تعيش منعزله محايده . وكان خط حدودها فى الألف الأول قبل الميلاد كما يلى : آخر مدينه فى فينيقيه من الجنوب هى صور وآخر حدودها يلاصق من الجنوب بلاد الفلسطينيين ومن الجنوب الشرقى فلسطين أى مملكة اسرائيل ومن الجنوب تقع مملكة يهوذا .

وفي الألف الثاني وصلتنا بعض المعلومات عن بيبلوس من مصر ففي أيام الأسره الثانيه عشره كان أمراء بيبلوس المعاصرين لامنحات الثالث والرابع (١٨٠٠ ق٠م) من اتباع مصر وكان الفراعنه يرسلون اليهم الهدايا ويصفوهم بلقب " النبيل الأمير " وهو لقب كانوا يمنحوه لحكام المدن ٠ وتدلنا نصوص اللعنات[1] على مقدار معرفة المصريين بالشام ٠

وتوجد لدينا وثيقه مصريه ترجع الى الأسره الثانية عشر تصف حياة الريف الفينيقي وعنوانها مغامرات سنوهي وهو نبيل مصري هرب من مصر على اثر موت امنحات الأول ( حوالى ١٩٧٠ ق٠م) خوفا من ابنه وخليفته سنوسرت الأول ٠ وتصور لنا هذه الوثيقه تصويرا دقيقا حياة سكان سوريا العليا وأخلاقهم وهم بمثابة الضاحيه الكبرى لفينيقيه في العصر الذى أزدهرت فيه مملكة حمورابي في بابل وتشير القصة الى حياة البدو وخشونة الطباع البدائيه ٠

---

(١) هذا الاسم يطلق على النقوش المصريه التي تذكر عددا من الشعوب الأجنبيه وخاصة شعوب آسيا وتوجد هذه النقوش مرسومه على زهريات تحفظ بعد الرسم عليها أو مرسومه على تماثيل صغيره تمثل أسرى وهذه النقوش لها طابع سحرى وتنسب الى الأسره الثانيه عشره على الأرجح ٠

وتذكر أوراق البردى المصريه فى أول هذا الألف الثانى أهمية الأخشاب والزيوت المستورده من الشام وتأثرت فينيقيه بالحضاره المصريه وأخذت عنها عادة التحنيط[1] .

وتصور لنا خطابات تل العمارنه أيضا حقيقة الحالة المعنويه فى المدن الفينيقيه وكيف أن بعد فقد فينيقيه أصبحت بيبلوس المدينه الوحيده التى حافظت على علاقتها الوثيقه بالفراعنه على حين كان بعد او جاريت يجعلها تفضل التقرب من الحيثيين . وهذه الخطابات عباره عن سلسلة من اللوحات مكتوبة باللغه البابليه بحروف مساريه موجهه الى ملوك مصر : امينوفيس (١٤٠٥ ــ ١٣٧٠) وامينوفيس الرابع (١٣٧٠ ــ ١٣٥٢) مرسله من الحكام الذين تولوا باسم الملكيين حكم سوريا وفلسطين أو مرسله من ملوك أشور وبابل أو من بعض أمراء آسيا الصغرى . وظلت هذه الرسائل محفوظه الى ان تم اكتشافها فى تل العمارنه فى مصر العليا وكانت العمارنه عاصمة الامبراطوريه المصريه فى ذلك العصر . ونقدم من هذه الرسائل رسالتين لكى نعرف لهجة وأسلوب هذه الرسائل :

١ ــ رسالة رب عدى حاكم جبل : من رب عدى

---

(١) A.H Gardiner , The Admonitions of Egyptian Sage p.33

الى سيدى الملك • القى بنفسى بين قدمى سيدى سبع مرات وسبعا ها أنذا قد سمعت كلام سيدى فأنشرح به قلبى جدا ؛ وليعمل سيدى على ارسال الجند على جناح السرعه واذا لم يرسل الجنود سنموت ونأخذ معنا مدينة جبيل •

٢ — رسالة زيمردا حاكم صيدا : يقول حاكم صيدا الى سيدى الملك والهى وشمسى ونفس حياتى ؛ وعند قدمى سيدى والهى أسجد سبع مرات وسبعا ؛ اعلم ياسيدى الملك ان صيدا مطمئنه خادمة لسيدى الملك الذى أودعها بين يدى ••••• اعلم أيضا أن لى اعداء اقوياء • وان كل المدن التى توليتها سقطت فى يد اللصوص فهل يسمح الملك بأن أضع نفسى تحت حماية قائد جنده لاسترد البلاد التى سقطت فى يد اللصوص ولاستعيد قبضتى عليها •••

وقد عاشت فينيقيه فى الألف الأول قبل الميلاد فى استقلال وتوسعت لدرجة ان الأساطيل الفينيقيه كانت تقصد النواحى البعيده لتؤسس بها الوكالات التجاريه والمستعمرات الدائمه • ويحدثنا العهد القديم عن هذه الفتره وخاصة فترة حكم حيرام أو أحيرام ابن ابى بعل ملك صور الذى اشتهر باتصالاته مع سليمان • وينسب لأحيرام (٩٨٠ — ٩٣٦ ق•م) انه وسع مدينته ورمم المعابد القديمه وبنى أخرى جديده • وكان معبد ملقارت قائما على جزيره صغيره منفصله عن جزيرة صور الكبيره فسد حيرام الفاصل بين الجزيرتين وهيأ منه مرافئ•

مريحه للسفن أحدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب طبقـــا للعادات الفينيقيه . وأشهر حادث في ايام حكمه هو الحلـــف الذى عقده مع سليمان ملك اسرائيل الذى أراد بناء معبـــد اورشـليم في العام الثاني عشر من حكم احيرام فلجـــأ الـى الفينيقيين باعتبارهم وحدهم القادرين على امداده بما يحتـــاج اليه من مواد بناء ومهندسين وفنانين . وكان حيرام على علاقـة طيبه مع داود ابى سليمان فقال له سليمان : " والآن تأمـر ان يقطعوا لى أرزا من لبنان ويكون عبيدى مع عبيدك وأجرة عبيـدك اعطيك اياها حسب ماتقول لأنك تعلم انه ليس بيننا أحد يعـرف قطع الأخشاب مثل الصيدونيين [1] ... " .

وبعد حيرام جاء ابنه بعل — اتسور الذى لم يدم فـــى الحكم سوى سبع سنوات ؛ وبعد فتره تولى الحكم اتبعل الـذى زوج ابنته ايزابل من الملك آخاب ملك مملكة اسرائيل في الشمال ؛ وكانت ايزابل شديدة التحمس لدينها فادخلت الهة الفينيقيين شيئا فشيئا محل عبادة الوهيم في مملكة اسرائيل . ونجد فـــى العهد القديم صدى هذه العقيدة الاجنبيه وطقوسها فـــى لعنات ايليا . وعلاوة على ذلك تزوجت عـتليا بنت ايزابـــل يهورام ملك يهوذا وادخلت دينها في جنوب اســـرائيل أيضا . وبعد ذلك وقع الفينيقيون تحت حكم الاشوريين فترة ثم تحت حكـم الفرس واليونان والرومان فترة أخرى .

---

(١) سـفر الملوك الاول اصحاح ٦/٥ — ١٢ .

## الفصل الثانى : الدين والفن عند الفينقيين

نحن نعرف الدين الفينيقى من خلال مرحلتين مختلفتين من تاريخه :

١ — صور للروايات القديمه مسجله فى نصوص رأس شمرا ·
٢ — وصف لحالة هذا الدين منذ العصر اليونانى الرومانى عن طريق الكتب المدونه فى عصور قريبه ·

### أولا — نصوص رأس شمرا :

نستنتج من قراءة نصوص رأس شمرا أن رئيس مجمع الالهه هو ايلى داجون ويسميه فيلون ود سقيوس ايل كرونوس ؛ وخصائصه الاشراف على مجارى الانهار ، والتنبوء بالمطر وقرينته عشيرات البحر المسماه ايضا ايلات ، ويأتى بعده بعل والاسم يعنى السيد والواقع انه اله يتولى أمر القمم والعاصفه ، الرعد والمطر الجالب للخصب · وتذكر بعض أساطير رأس شمرا بعل الها لامعبد له على حين انه كانت لسائر الآلهه معابد · ونستنتج من ذلك ان بعل هو اله ادخله الفينيقيون على آلهتهم بعد ان اكتمل مجمع الالهه عندهم ونلاحظ ذلك عند أهل الرافدين · والرأى الأرجح هو ان بعل اله محلى سابق على العصر الفينيقى وتصويره على شكل محارب ذو خوذه ممسك بيده صاعقة هى أمور

تجعل هويته نفس هوية الاله الكبير المعروف فى سوريا العليا ولدى الحيثيين والحوريين أيضا ؛ وهو على ذلك اله اسيوى وليس شخصية جديدة ، وهو الذى يعرف فى فلسطين الجنوبيه باسمه : بعل سافون أو بعل الشمال وقرينته هى عشيرات .

ويليه الييان بن بعل وخصائصه شبيهه تقريبا بخصائص أبيه فهو يشرف على المنابع الأرضيه والأنهار ويدخل فى مملكته البحر من حيث فيه مصاب الأنهار . اما خصم الييان فاخوه موت وله نفس صفات نرجال البابلى فهو شمس الظهر والمهلك لكل نبات وهو أيضا اله الجحيم (١) .

وكما ان بعل هو اله الطرفين المتضاربين فهو من جهة اله العاصفه التى تحطم وتهدم ؛ ومن جهة أخرى اله المطر الذى يجلب الخصب ، فان الييان كذلك فهو اله المنابع والأنهار ، وهو منبت الحب ومن جهة أخرى اله الفيضان الذى يجتاح كل ماهو على الأرض . أما خصمه موت فهو مهلك الحصاد وهو السبب فى فترة ركود الارض عقب الحصاد . ولايجوز لالييان ان يعيش

---

(١) يرى فيلون البيبلوسى ان موت بمعنى الموت ويرى "ديسو" ان موت هو البطل أو المحارب أنظر :

R.Dussaud, Les De Couvertes de Ras -Shamra, P. 104

فى مكان واحد مع موت فاذا كان أحدهما على الأرض كان الآخر فى الجحيم وهما معا يمثلان تعاقب الفصول ؛ وهذا هو ماصورتـه اسطورة عشتار وأدونيس .

واسطورة الربيع والشتاء المعروفه مصورة فى أمر بعل والبيان . وتنقسم الاسطوره الى أربعة فصول هى : موافقة ايل على بناء معبد لبعل الذى لم يكن له معبد وهو مايعتبر انتصارا لبعل ولكنه مع ذلك لايلبث ان يخلى مكان لموت وان ينزل الى الجحيم وتبكيه أخته أنات ثم يأتى وقت الحصاد والقربان الى موت فيقطع على أنه سنبله ثم يذرى على أنه حبه ويخبز ويؤكل . ويأتى بعث البيان ولكنه قبل ان يعود للظهور يظل مختفيا بعض الوقت حتى تعم الدهشه من تأخيره فى إظهار نفسه وتكلف الهة الشمس واسمها شاباش بالبحث عنه .

وتعد القرابين التى قدمت الى الهيكل صدى لما قدم من قرابين عند بناء معبد بعل ؛ غير ان قرابين بعل ترتفع بأصلها الى طقوس القرابين البابليه فى نفس المناسبات . فعندما يموت بعل ويخرج المنادى لاتبون ليظهر حزنه فانه يحاكى ادابا فى نواحها لموت تموز وجزيدا . وحين نذكر قول شاباش للاله موت :

وسينتزع ايل من منزلك مصراعى بابه — أى سيخرب المنزل — فاننا نتذكر فى نفس الوقت ماكان من أهمية للمصراعين

باعتبارهما رمز المنزل عند أهل الرافدين ونذكر أيضا تصويرهما بما نسميه الرمح المقدس • وكذلك حين نذكر بعث البيان وبقاءه مختفيا بعض الوقت نذكر اسطوره تليبنو Telepinu وضرورة البحث عنه واختفائه حتى بعد أن استيقظ[1] •

وتتصل كذلك اسطورة الحصاد الزراعية باسطورة الحكيم دانل وكذلك أيضا اسطورة ميلاد الآلهه الظريفه فهى عباره عن قصة ميلاد ولدين ثم خمسة آخرين مع التعليمات العادية عن زراعة الحقول والأوامر الخاصه بالحرث واحراق الذبائح من أجل خصوبة الأرض •

وتتصل انشودة الاله نيكال والالهات كوشاروت بطقوس الحصاد وهى انشوده تتضمن وصف زواج مقدس من الارباب ؛ ويدور كلامها حول طقوس الاخصاب فالاله القمر واسمه يريه يطلب يد الالهه نيكال ويكون المسئول عن مفاوضات الزواج هو الاله حرحب Harhb اله الصيف • ويشير النشيد الى مهور الخطبه المختلفه كما يذكر الموازين المعده لتقدير الهدايا •[2]

---

(١) G.Contenau: La civilisation des Hittitets et de Hurrittes du Mitanni, 1948, P.129.

(2) Cyrus H.Gordon , A marriage of The gods in Canaanite Mythology , P.209- 228

وعلى ذلك فان قصائد رأس شمرا تصف لنا العادات والعقائد الكنعانيه قبل دخول الاسرائيليين اليها ، ويمدنا هذا الوصف لأول مره بأخبار ثابته عن الكنعانيين . كما تلقى نصوص رأس شمرا الضوء على بعض أوامر الكتاب المقدس ، مثال ذلك تحريم طبخ العنز الصغير بلبن أمه الذى يعتبر رد فعل لعاده كنعانيه تقول :

اطبخ الحمل فى اللبن [1] .

وأشهر الكتب التى يمكن ان تستشهد بها على معرفة الديانه الفينيقيه هو كتاب فيلون البيبلوسى الأصل ؛ وهو كاتب يونانى ولد فى فينيقيه حوالى ٤٢ م وسمى باسم هيرينيوس وكان حيا أيام هدريان (١١٧ ميلاديه) . لقد نقل فيلون فى كتابه فكرة الديانه الفينيقيه عن خلق العالم وهو يقول انه ترجمها عن كتب سانخونياتون الكاهن الفينيقى الذى ولد حوالى القرن الحادى عشر ق.م . وقد ضاعت كتب سانخونياتون للأسف ولم يحدثنا عنه أحد قبل أن يترجم عنه فيلون وضاعت كتب فيلون أيضا ولم يصلنا عنه سوى بعض قطع أوردها مختلف المؤرخين.

---

(١) R. Dussaud, Les decouvertes de Ras- Shamra (Ugarit) et L'Ancien Testament, 2-edit, 1941, P.153

والفكره الفينيقيــه عن أصل العالم وأصل الآلهه هى :

كان كل الوجود فى البدء عباره عن الهواء السميك والفضــاء ومنها خرجت الريح والشهوه وهذان بدورهما أخرجا الجبل وكـان شكله شكل بيضه ، وفى داخل البيضه تكونت المخلوقات وبقيــت فى حالة الجنين دون حركه الى ان انشقت البيضه وقذف الجبــل حينئذ بالشمس والقمر والنجوم وكان للضوء أثره فانفصلت المياه عــن السماء • ومن الريح المسماه كولــبيا وزوجته المسماه آو ولدايــون وبروتوجونس — وكان ايون أول من عرف الفواكه الصالحة للأكـل — ومن اولادهما النار واللهب والضوء وهم الذين اكتشفوا النار • ويذكر فيلون ستة ازواج من الاخوه اخترعــوا الآتى :

١ — الصيد فى البر والبحر •
٢ — فن صناعــة المعادن والملاحه •
٣ — الحرف وخاصة صناعة الآجــر •
٤ — الزراعــه •
٥ — القرى وحظائر الماشيه •
٦ — العدل والقانون •

اما الآلهه فى البدء فهم اليون وبيروت وولدا اورانــــوس السماء وجى الارض • وولدا اورانوس ايل وهويته هوية ياتــورن عــند فيلون وهو الذى أسس مدينة جبهل — بيبلوس • ثــــم انجب اورانوس أيضا : بايتولوس ( بمعنى بيت الرب ) ، داجون ،

اطلس ، زيوس ديماروس وبنطس ( بمعنى البحر ) ثم ولد ديماروس ملقارت اله صور ويلى ذلك عشتارت الآلهه الكبرى فى فينيقيه ثم ريا وغيرهما ونتحدث الآن عن بعض هذه الآلهه عندهم :

## ملقارت :

بعل صور ويعنى اسمه " اله المدينه " وكان ملقارت فى الأصل الها قبليا . ويرد اسمه بين أسماء الالهه الكبرى فى عهد معقود بن اسرحدون وملك صور . وكان يقام عيد سنوى كبير فى صور تكريما له . وبنى له حيرام معبدا وكانت صفة هذا الاله الشمسيه واضحه فى البدايه واكتسب بعد ذلك صفات جديده أخصها صفة الرب البحرى .

## اشمون :

يقول عنه الكتاب اليونان انه له هوية اسكليبيوس وعلى ذلك يمكن ان نعتبره اله الصحه أو الطب وكان له معبد فى صيدا لاتزال اطلاله قائمه ولكن فى حاله لاتسمح باستنتاج فكره عن العباده المخصصه له . واشتقاق الاسم غير معروف ويقول البعض أنه صيغه مشتقه من شم بمعنى الاسم الاعظم ، وشيم من الالقاب الربانيه التى بطلت عندما ظهر لقب اشمون .

اذ ن فلفظ اشمون مجرد وصف كمعظم الأوصاف التى تطلق على الآلهة الأخرى [1] .

عشتارت :

كانت مدينتا الشمال الكبيرتان فى فينيقيه تعبدا ن على الأخص بعولات أى آلهه مؤنثه — فكان لبيروت بعلة بيروت وكان لمدينة جبل بعله هى سيدة جبل أو عشتارت · وقد ورد الاسم عشترت فى رسائل العمارنه ولكنه يوجد فى النقوش اليونانيه اشتاريه · وترمز عشتارت الى الخصب فهى الهة الأمومه والخصب والالهه الأم وتشهد نقوش عديده بوجود عبادة عشتارت وتعرف عند اليونان تحت اسم افروديت ·

أدونيس :

تتصل عبادة ادونيس بعبادة عشتارت وهو اله يصور فى هيئة شاب قتله خنزير وحشى كان يصيده ، فتنزل عشيقته عشتارت الى طبقات الجحيم لتنتزعه من الموت · وادونيس من ارباب الزراعه فهو روح النباتات المعبود فى كل فينيقيه وله اعياد سنويه اسمها الادونيات ولكنه ليس له ذكر فى أى نص فينيقى أو يونانى أو لاتينى

(١) دائرة معارف الدين والأخلاق جـ٩ ص ٨٩٢ ·

من النصوص التى اكتشفت فى فينيقيه ويسمى فى العبريه والسريانيه الاله تموز على اسم الاله المختص بالحب والانبات عند بلاد الرافدين .

والى جانب الآلهه نجد اشياء مقدسه أخرى مثل الجبال والمياه والاشجار المقدسه . وتقديس الجبال أمر تشهد به الروايات التاريخيه واطلال المعابد التى نجدها فى الجبال . ويشهد بذلك أيضا النقوش التى تذكر بعل لبنان وبعل حرموت وبعل كاسيوس — وهو الذى سمى فيما بعد زيوس كاسيوس — وليس المقصود هو اعتبار الجبال آلهه بل اعتبارها مساكن للآلهه. وأشهر مثل على المياه المقدسه أيضا معبد أفقا الذى يقع فى جبل لبنان عند منبع نهر ابراهيم الحالى ؛ والذى سمى قديما ادونيس . وينحدر النهر من الجبل من منابع عديده ويمر فوق شلالات حتى يصل الى مكان المعبد المخصص لعشتارت. وكان لعشتارت هناك حوض تتلقى فيه القرابين المقدمه لها فاذا كان القربان مقبولا ، غاص فى الماء والا طفا على سطح الماء .

وفكرة النهر — من حيث هو رازق الخير وواهب الانسان النعم ؛ ومن حيث هو هبه من الله ومسكن له — فكره لها مثيلاتها فى الميثولوجيا اليونانيه والرومانيه حيث تمثل لنا هذه الميثولوجيا الأنهار فى شكل الهه أو اله متكئ على صندوق

ينصب فيه الماء .

ونحن نعرف أيضا أهمية الغابات المقدسة سواء ماكان منها طبيعيا أو ماكان مزروعا بجوار المعابد ؛ وهذه الغابات من الأمور الضرورية التى لايمكن الاستغناء عنها فى المعابد . ونجد فى أفقا اليوم شجرة قائمة قرب مكان الحوض المقدس الذى كان مخصصا — قديما — للقرابين ولايزال يذهب اليها الأشخاص ليطلبوا مطالبهم .

وقد عبد الانسان الى جانب كل ذلك الصخور واعتبرها مقرا لآلهته . ومثل هذه الصخور المعبودة تكون فى العادة مخروطيه وتوضع على مذبح ليقف العابدون بين يديها وتسمى الواحدة منها " بيتيل " ومعناها فى اللغة الساميه الأم بيت الرب . وأشهر بيتيل فى فينيقيه هو الموجود فى معبد بيبلوس . وهناك أيضا الاشيرا وهو نوع من الأعمدة الصغيرة من خشب يتخذ لأغراض نذرية ويوضع فى المعابد .

ويشير العالم ر. ديسو الى العلاقة الدائمة بين البيتيل والاشيرا فى الديانات الكنعانيه ويستند فى ذلك على نصوص الكتاب المقدس وعلى هذا الاساس تعتبر صورة عشتارت هى البيتيل ويكون ادونيس مثلا فى المعابد على شكل عمود خشبى

مقدس[1] .

وتقودنا مسألة البيتيل الى وصف أماكن العباده الفينيقيه بشكل مستقل عن معابد رأس شمرا فنقول ان اماكن العباده كانت فى الغالب — هنا وعند جميع الكنعانيين — اماكن عاليه أو بعباره أخرى ساحات فى قمم الجبال والتلال لها عندهم صفة القداسه ، وعلى هذا النحو كان للمدينتين الساحليتين ارواد وجبل معابد فى الجبل عند بيتو سوسى وأفقا على الترتيب .

وأهم مايحويه أى معبد هو سوره المقدس غير المسقوف وفى وسط الساحه يقام معبد صغير ليكون حرم الربوبيه أو يقام بيتيل أو معبد صغير بداخله بيتيل ، ويوضع امام المعبد أو بين يدى البيتيل مذبح القرابين . فاذا اجتمع كل ذلك اكتملت ادوات العباده ، ولابد للمعبد من نبع أو حوض مقدس وغابه مقدسه . وكان يخصص لمثل هذه المعابد عدد كبير من الكهنه الذين يكلفون باقامة الشعائر . ويدخل العرافون فى عداد الكهنه . ونحن نعرف عدة انواع من العرافين يتمايزون فيما بينهم بحسب ثيابهم . ويورد الكتاب المقدس ذكر عرافى ملقارت فى صور

---

(1) R.Dassaud, By blos et la mention des Giblites dans L'Ancien Testament , Syria, IV, 1923, P. 308.

ومايعتريهم من الوجد اثناء اجاباتهم على الاسـئله [1] .

وكان يخصص للمعابد عدد كبير من الخدم وأولهم الحـراس ويقابلهم اللاويـون عـند اليهود منهم أهل الحرف لأن المعبـد هيئه لها حياتها المستقله وشخصيتها التى تتيح لها ان تملـك وتدبر دخلها ومنهم الحلاقون المقدسون المكلفون بحلق شعر مـن يريد تقديم شعره للآلهه .

وتعتبر الوظائف الكهنوتيه وظائف شرفيه تظل وقفـا علـى بعض الأسر كما هو الحال عـند العبريين . ويوجد الى جانب هيئة الموظفين فى المعابد رقيق مقدس من الجنسين يقومـون بالبنـاء المقدس ، وهذا النظام الدينى يلازم عبادة عشتارت من حيث هى الهة الاخصاب .

وكان الفينيقيـون — مثل غيرهم — يعتبرون الآلهـه مخلوقات تأكل وتشرب وتسمع وعلى ذلك فانهم يستحقون منهـم الهدايا والواجبات ومن هنا كانوا يقدمون المواد الغذائيـه ويحرقوها فوق المذابح . وكانت الأشياء التى تصلح للقربـان حسب الترتيب التنازلى هى : الثيران ، العجول ، الظبـاء الكباش ، الجديان ، الحملان ، صغار الماعز ، صغـار

---

(١) ملوك أول ١٨ .

الظباء ، الطيور والحبوب واهراق الزيت أو اللبن أو النبيذ .
وقد لاحظ الاستاذ كليرمون جانو أن الفينيقيين كانوا يؤثرون فيما يقدمون لآلهتهم الاناث مايهراق وفيما يقدمون لالهتهم الذكور أضاحي تذبح وتحرق (١) .

وكانت التضحية بالطفل البكر عرفا جاريا عند الكنعانيين في العصور القديمه واحتفظ الفينيقيون بهذه العاده حتى العصور القريبه حتى روى فيلون انه كان من عاداتهم في حالات الأخطار العامه ان يضحوا بأعز ابنائهم لابعاد الكوارث عن انفسهم أما في الاحوال العاديه فانه كان في الامكان احلال حيوان محل الضحيه البشريه وفسروا ذلك بأن كرونوس عندما نزل الطاعون ضحى بابنه الوحيد وحرقه تشريفا لأبيه اورانوس .

وتمتاز الأعياد الدينيه الفينيقيه بطقوس الحج وذلك لأن معابد المدن كانت تتخذ في أعالي التلال القريبه . ومن الأعياد الفينيقيه النموذجيه عيد أدونيس وكان يقام في أفقا صيفا ويأتي الناس اليه من بيبلوس ومن جميع بلاد فينيقيه . وكان هناك عيد آخر في صور هو عيد ملقارت وكانوا يعتقدون أنه مؤسس المدينه وأنه هلك في سبيل الرب بنار أعدت له ؛ وفي ذكرى موت هذا

---

(١) Ch. Clermont -Ganneau , Etudes d'archeologie orientale ,I, P.5

الرب كانت تحرق صورته فى حفل رسمى ومن الممكن ان يكون الاصـــل هو احراق ضحايا انسانيه بالنار بدلا من الصور ٠

أما عن معتقدات الفينيقيين عما وراء العالم فانهم كانـــوا يعتقدون بوجود روح تفارق الجسد عـند الموت وتستمر حيه حيـاة بطيئة النطاق لاحركه فيها ولامتعه ٠ واعـتقدوا أيضـا أن روح الميت تظل على اتصال وثيق بالجثمان الذى فارقته وان مصيرهـــا متوقف على المصير الذى يحظى به جسد الميت ولذلك حـــرص الفينيقيون على حفظ الجثمان فى تـابوت ويضعون التابوت فى أعمـاق بئر بعيد الغور أو فى كهف يتناولون مداخله بالتمويه لكى يضللـــوا نباشـى القبور عـنه ٠

وكانت تقام بجوار المقابر أعمده جنائزيه تخليدا لذكـــراه حسب مدلول النقش المحفور عليها ٠ وهناك نص منقوش عـلـــى شاهد قبر يعتبر وثيقه توضح مدى اهتمام الفينيقيين بالحيـــاه فيما وراء العالم :

انا تابنيـت كاهن عـشتارت ملك الصيداويين بن اشمونعيزر كاهن عشتارت ملك الصيداوييـن ، أنا موجود بهذا الصنـدوق فايا من تكون ايها الانسان الذى يقع على هذا الصندوق لاتفتـــح قبرى ولاتقلقنى فليس لدينا ذهب أو فضه ولا أى نوع من الزهريات ، بل انا وحيد فى هذا الصندوق فلا تفتح قبرى ولاتقلقنى فان ذلـــك أمر منكر عند عشتارت فاذا تجاسرت على فتح قبرى وجرأت على اقلاقى

فليأذ ن الرب با لا يكون لك عـقب بين الأحياء تحت الشمس ولا مهد للراحـه عـند الريفا يـيم ( أى الضـفاف والظلال ) (١) .

وقد اقتبس الفينيقيون فنونهم من الحضارات المجـاوره القائمه فى بلاد الرافدين وسوريا الشماليه ومصر واليونان غير أنهـا طبعت هذه المقتبسات بطابع فينيقى ذاتى . وقد دلت الأبحاث الأولى فى فينيقيـه على أن الأثر الغالب منذ ابتداء العصـر اليونانى هو أثر هليـنى واضح سواء فى الفنون أو فى اللغه أو فـى الدين . وما لا يعكس الأثر اليونانى الرومانى من فنهم فيغلـب عليه محاكاة الانتاج الفنى المميز لبلاد الرافدين أو قبـرص أو بحر ايجه .

ويمكننا تقسيم تاريخ الفن الفينيقى الى عـصرين : الأولـ يبدأ من البدايه الى أول الالف الاول ق.م وفيه يبدو الفـن الفينيقـى محاكاه واحتضانا لفنون مصر وايجه والبـلاد الغريبـه عن فينيقيه بصفه عـامه . والعصر الثانى ويشمل الألف الاول ق.م الى آخر العصر اليونانى الرومانى .

---

(١) J.M.Lagrange, Etudes sur Les religions Semitques, 2- edit (Gabolda ) 1905 , P.481.

**اكتشافات بيبلوس :**

اكتشف الاستاذ مونتيه تحت بلاط معبد بنى فى جبيل ـ التى هى بيبلوس القديمه حرما قديما جدا • ووجد تحت البلاط ودیعه من أدوات كانت تعد ثمينه فى أعين الكهنه الذين أودعوها • وترجع الوديعه الى فترة الاسره العاشره فى مصر (٢٧٧٨ـ٢١٥٠) وهى تحوى أشياء مرسلة من مصر واشياء مصنوعه محليا فى فينيقيه وهى عباره عن تماثيل صغيره آدميه من النحاس طولها من ٥ ـ ٨ سم وتماثيل صغيرة حيوانيه تصور أنواعا من الظباء والثيران والدببه والقطط الوحشيه والغزلان والثيران ذوات السنامين ؛ وبعض هذه التماثيل صور حيوانات لاتوجد الا فى الاقاليم السوريه الفينيقيه •

ومن بين الاكتشافات الهامه الأخرى فى بيبلوس نذكر كشف عام ١٩٣٢ عن حرم ذى مسلات صغيره وودیعتى تأسيس وكانت احدى الودائع عباره عن جره تحوى عددا من الودائع الذهبيه • الفضيه والبرونزيه ومنها فأسان احداهما محدبه غير مستقيمه وكذلك خنجر قبضته مغطاه بورقة شجر ذهبيه وعلى الغمد المصنوع من ذهب نرى أيضا صور حيوانات وشخصا ممتطيا بغلا •

**رأس شمرا :**

استطاع الاستاذ شيفير ان يميز فى تل رأس شمرا خمس

طبقات حضريه ابتداء من سطح التل •

**الطبقه الخامسه :** وهى التى تصل الى الارض العذراء وتمتاز بوجود زهريات حجريه ومعها فخار غليظ الصنعه غير ملون ولكنه مخطط بخطوط ترسم بالقرص او بضرب الأظافر وليس لهذه الاوانى آذان بل لها أسنمه على شكل مقابض تسمى اليد السناميه • وماوجد من هذه الطبقه من الادوات مصنوع من الصوان والعظام والزجاج البركانى المعروف باسم حجر الأبسيد •

**الطبقه الرابعه :** وتنسب هذه الطبقه الى النصف الأول من الالف الرابع وفخارها ملون برسوم وملون فى القسم الجنوبى برسوم تكون على وجه الخصوص هندسيه ويسمى هذا الفخار فخار تل العبيد أما فخار الشمال فرسوماته هندسيه أو حيوانيه مع ميل الى التلوين بالنقط البارزه •

**الطبقه الثالثه :** تمتد طول النصف الثانى من الالف الرابع

وكل الالف الثالث وتضم طبقتين تحوى أعمقهما
فخارا مقابلا لفخار العين الحديث ذى
الآذان المثقوبه ٠ اما الطبقه العليا ففيها
فخار يغلب عليه نمط خاص فى السلاطين
مصنوعه من طينه حمراء أو سوداء ذات
بريق وفى جرار ذوات قاع مسطح وذوات زخرفه
دقيقه وهذا الفخار يسمى بالفخار الكنعانى ٠
وظهور هذا الفخار الكنعانى قبل ٢٥٠٠ ق٠م
يعد من العلامات التى تدل على وصول
عنصر جديد هو العنصر الفينيقى ٠

<u>الطبقه الثانيه</u> : تبدأ حوالى ٢,١٠٠ ق٠م وتنتهى فى
القرن السادس عشر وهى تقابل عصر
الامبراطوريه الوسطى فى مصر والمعروف ان
النفوذ المصرى كان ضعيفا فى رأس شمرا
وقويا فى بيبلوس وكان هذا النفوذ هاما فى
هذه الفتره ٠

ولقد كان للفينيقيين طابعهم الخاص فى
بناء المعابد وتم اكتشاف ثلاثه معابد منها
لاتزال معلوماتنا عن الثالث منها غير كافيه ؛
أما المعبدان الأول والثانى فتصميمهما

واحد . وكان تأسيسها فى عصر الطبقة الثانية ثم عولجا بالترميم فى عصر الطبقة الاولى ويتألفا من ساحة يتوسطها مذبح مقياسه ٢,٢٠ م × ٢ م وفى مقدمته درجتان وفى مؤخرته مقدمة المعبد ؛ وبالمعبد منصة فى أحد جوانبه للقرابين أو صورة الرب . أما اسوار الساحة فمزدوجة والسور الداخلى أقل متانة من الخارجى . اقيم المعبد الثانى واتجاهه شمالى جنوبى مثل اتجاه المعبد السابق . وقد توصلت الحفائر فى هذه الطبقة الثانية الى معرفة السلسلة الفخارية بتمامها فى عهد الاسرة الثانية عشرة كالجرار المزخرفة بالتنقيط الملون أو بعدد من الخطوط وهى جرار ذات عنق طويل مدور وفوهة ضيقة .

**الطبقة الأولى :** تنقلنا الطبقة الاولى الى عصر البرونز الحديث (١٥٠٠ — ١١٠٠ ق.م) ونلاحظ فى هذا العصر ظهور نفوذ اجنبى آخر غير النفوذ المصرى وهو نفوذ بحر ايجه .

وهكذا كان لفن صناعة المعادن مظاهر كثيرة في اوجاريت بصفه خاصه • وقد عثرت الحفريات على وديعه وجدت تحت درجه من درجات سلم منها معول في وسطه فتحه ليد ه الخشبيه وعلى الحد نقش مسمارى أبجدى ومنها حامل ذو ثلاثه أرجل مزين بزخارف على شكل الرمان وهو موجود في متحف اللوفر • وعثر أيضا على طبقين من الذهب احدهما عباره عن كأس سعتها اكبر من عمقها والطبق على شكل نصف كره قطرها ١٧ سم وعليه زخرفه كثيره • والطبق الثانى عباره عن كأس مقدسه قطرها ٧ سم محفوظه بمتحف اللوفر على شكل الطبله المعروفه بالدف وهو شكل مألوف في الأوانى المعدنيه المنسوبه للاسره الثامنه عشر • والزخرفه الموضوعه في الوسط عباره عن اربع عنزات جبليه مرسومه على خط دائرى • اما الاطار الخارجى فزخرفته رسم صائد له لحيه سوريه واقفا على عربته وشكل العربه واضح بعجلاتها ذوات القضبان الاربعه • والخيل مصوره وهى تجرى بأرجلها ممتده • أما الصائد فيسدد سهما الى ثور وحشى هارب ثم يوجد ثور آخر وراء العربه ينقض على عجلاتها ووراءه كلب يتبعه •

وتتمثل العماره الدينيه على الأخص في المعابد • ويتألف المعبد عادة من ساحه توضع فيها صورة الرب اما منفردة وحيدة واما مصحوبه بمعبد صغير ويقام امام صورة الرب مذبح • ويعتبر معبد عريست الذى يحمل هذه التسميه حتى الآن من هذه

المعابد . ويتألف الجزء الأساسى منه من سور مقدس مقام فى جنب تل من التلال ومن ساحه كبيره داخل السور والساحه منحوته فى الصخر طولها ٢٥ م وعرضها ٤٨ م ويوضح هذا المعبد حب الضخامه والتعود على الأبنيه المنحوته فى الصخر الطبيعى .

وكان للمعابد اثاث دينى نخص منه بالذكر المذابح وعروش الأرباب وصورها . ويوجد لدينا عدد كبير من المذابح وهى عباره عن كتل حجريه مربعه وجهها الأعلى مسطح فيما عدا حفره وقناه نحتتا ليلقى بهما مايهراق للآلهه من السوائل أو الضحايا المحروقه .

اما عروش الآلهه فكانت عباره عن هياكل من الحجر على شكل كرسى له ظهر يحف بجانبيه صور السبع أو أبو الهول أو العقاب المجنح ويكون الكرسى أحيانا فارغا وقد توضع عليه شواهد صغيره تحمل صورة العابد ماثلا امام الرب .

ولم يستعمل الفينيقيون الأعمده الا استعمالا محدودا وهذا صحيح بالنسبه للعصور القديمه على الأقل . ويوجد لدينا من الالف الاول ق.م بعض تيجان أعمده وجدت فى جزيرة قبرص نستطيع ان نكون منها فكره عن صورة الأعمده الفينيقيه على أساس أن الصلات الفنيه وثيقه بين البلدين . وتوجد كذلك عدة تيجان محفوظه بمتحف اللوفر تشهد باستعمال السعف على شكل قوس دائره وكان التأليف بين السعف يخلق

عنصرا زخرفيا ذا قيمه قويه فى التجميل ، والسعف من
العناصر الزخرفيه التى يكثر استعمالها فى فينيقيه .

## الفصل الثالث : الزراعه ، الملاحه ، التجاره

استخدم الفينيقيون من غير شك المحراث وكان محراثهم كمحراث اهل سوريا اليوم كما استعملوا في الجر قوة الانسان أو الثور أو الحمار ، ويتألف هذا المحراث البدائى من قطع من الخشب غير مهذبه مجموعة بعضها الى بعض بأربطه . واستخدم أهل قرطاجنه الفيل كحيوان للجر في الصناعات الكبيره وكان الفينيقيون يفصلون الحب عن السنابل بأن يداس المحصول بأرجل الثيران والخيل والبغال وإما ان يمرر على السنابل لوحه خشبيه مثبت فيها من أسفلها شظايا من حجر واما ان يستعملوا آداه مركبه من الخشب لها عجل باسنان من حديد . وكان الحب المستخلص يوضع تحت الأرض في جرار ، وكانت الحبوب تطحن بطواحين بدائيه عباره عن عجله ثقيله من الحجر تدور حول مدار او يكون الطحن بحجرين يوضع الحب بينهما وقد اشتهر الفينيقيون بزراعة العنب وكانوا يستخرجون الزيت أولا من أشجار الزيتون البريه ثم زرعوا تلك الشجره لكى لايحتاجوا لاستيراد الزيت كما أدخلوا الى افريقيا شجرة الرمان .

ولم تكن الزراعه اكبر مورد لهم بل كانت التجاره وقد سهلها لهم استعدادهم البحرى ومن المؤكد ان البحريه الفينيقيه من أشهر البحريات في العصور القديمه ولم يستكمل

الفينيقيون موانيهم الا بالتدريج عن طريق حمايتها بالأرصفه ،
وفي البدايه كانوا يبنون مدنهم عند الرؤوس الداخله في
البحر ليستطيعوا ارساء مراكبهم اما الى الشمال واما الى الجنوب
من الرأس بحسب اتجاه الريح • ولم تكن الموانى فى الحقيقه
سوى موانى رمليه حيث تنحدر الأرض نحو الماء فى ميل خفيف
يسهل معه سحب السفن من البحر الى الرمل حين يسوء
الطقس •

ومن بين نصوص رأس شمرا قصيده اسمها " الآلهه
الرحيمه " وهى تعد دليلا على قيام المدن الفينيقيه بنشاط
تجارى قديم جدا • ويرى الاستاذ ر• ديسو ان التجاره
عند الفينيقيين نمت على مرحلتين : أولا بالقوافل بين خليج
العقبه واقليم اشدود ولم يكن هذا الاقليم صحراويا مقفرا كما هو
اليوم •

ثانيا بالطرق البحريه بعد احتلال مدن الساحل فى بداية
الألف الثالث • واكبر دور قامت به البحريه الفينيقيه يرجع الى
الألف الاول ق•م [1] • وقبل هذا التاريخ كان الدور الأول

---

(١) R.Dassaud, Le commerce des anciens Phéniciens á La lumiere des poemedes dieux gracieux et beaux (1936) P.59-66

للبحريـه الايجيه . ومما يدل على ازدهار البحريه الفينيقيـه ان أبطال هوميـروس حين ارادوا الوصول بالبحـر لجأوا الـــى بحاره من الفينيقيين .

## الفصل الرابع : الابجديه الفينيقيـــه والأدب

جرت العاده ان ينسب العلماء الى الفينيقيين اختراع الحروف الهجائيه ونشرها • ويستند هذا الرأى الى روايـــه قديمه رددها هيرودوت حيث نسب الى فينيقـى اســـمه قدموس kadmos اختراع الابجديه ونشرها اثناء استعماره للغرب • وتوجد عند اليونان اسطوره مماثله بطلها بلاميد " palamede " • وقد افترض العلماء ان قدموس حمـل الى بلاد اليونان ابجديه مؤلفه من ١٨ حرفا وان بلاميد هــو الذى اخترع بقية الحروف • ويحدد هذا الاختراع بحوالـى نهاية الألف الثانى قبل الميلاد ( حوالى ١٢٠٠ ) لأننا نعلم شكل الكتابه فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر عن طريق رسائـل تـل العمارنـه وهى رسائل بعثها ملوك فينيقيه الى الفراعنه • وتدل هذه الرسائل على ان الكتابه التى كانت مستعمله فى فينيقيه وفـى كل آسيا الغربيه هى الكتابه المسماريه الاكديه • ويوجـد الـى جانب ذلك فى القرن الرابع عشر نظام هجائى مشتق من الكتابـه السابقه هو نظام رأس شمرا •

وتتألف الابجديه الفينيقيـه من ٢٢ حرفا كلها حـروف ساكنه يمكن بها أداء أصوات اللغه أداء كاملا • ويذهـب جاردنـر الى ان الابجديه الفينيقيه مقتبسه من الكتابـه المصريه

القديمه . وهذه الابجديه تبدأ هكذا : ابجد — هوز — حطى — كلمن — سعفص — قرشت .

## الأدب الفينيقي :

تدل النصوص النادره التى وصلت الينا على انتشار التأثير الفينيقى فى كل اتجاه ومثال ذلك شاهد الملك ميزا ملك موآب ( النصف الثانى من القرن التاسع ) وهو مكتوب بحروف فينيقيه على حين أن لغة الشاهد لهجه موابيه قريبه من اللغه الفينيقيه والعبريه . ومثال آخر من مملكة زنجر لى ، وكانت هذه المملكه مزدهره فى القرن الثامن تحت ظل السياده الأشوريه وكانت بهيئتها آراميه ومع ذلك فان النقش المعروف باسم نقش الملك كلامو ونقش الاله حدد مكتوبان بحروف فينيقيه ولغه فينيقيه . وقد بقى من الأدب الفينيقى بعض النقوش التى نورد ترجمه لبعضها :

قصيدة موت والبان بعل تقول :

تصيح أنات قائله
مات بعل
فمن يكونون شعب ابن داجون
من سيكونون خلق اشير بعل

اننا سنهبط الى جوف الأرض معه ٠
وتنزلين انت يا نور الالهه يا سباس حتى تشبعي نفسك بد موعك
وتشربي د موعك كما لو كانت نبيذا
فلما نادت آنات نور الالهه ياباس وقالت لها :
ارفعي معي لأحمل بنفسي جثمان اليان بعل
سمعت نور الآلهه نياباس
ورفعت جسم اليان بعل على كتف أنات
فلما أقرته ( على الكتف ) رفعته انات على اعشار سافون
وبكت ودفنتـه
وأعـدت اروسات آلهة الارض
وقدمت ٧٠ عـجلا ضحيــه
فلما ازدردهـا اليان بعــل
قدمت ٧٠ ثورا ضحيـــه
فلما ازدردهـا اليان بعــل
قدمت ٧٠ كبشـا ضحيـــه
فلما ازدردهـا اليان بعــل
قدمت له ٧٠ غزالا وحشيا ضحيه
فلما ازدردها اليان بعــل
قدمت له ٧٠ حمارا ضحيــه (١)

---

(١) انظر مجلة سوريا ١٩٣٤ ص ٢٢٩ ٠

ونستطيع ان نقسم النقوش الفينيقيه التى تم العثور عليها الى قسمين :

١ – نقوش اهدائيه ٠
٢ – نقوش جنائزيه ٠

وتقترن النقوش الاهدائيه عادة باشياء مهداه الى الرب ، ويفعل هذا الاشخاص العاديين والملوك على حد سواء لأن الآلهه استجابت لدعائهم ثم يلى هذه العباره فى أغلب الأحيان وصف القربان ثم يأتى فى النهايه التوسل من أجل أنزال البركه الالهيه ٠

والنقوش الجنائزيه المطوله تذكر عادة ما انزل الله من خير على المتوفى وتذكر ايضا الأعمال الخيريه التى قام بها المتوفى وتنتهى باستنزال اللعنات على كل من يمس سلامة البناء الجنائزى وفى بعض الأحيان تنتهى باستنزال البركه على كل من يحترمونه ٠

ولم يخرج الأدب الفينيقى فى هذه النواحى عن النطاق المألوف فى الآداب الساميه القديمه الأخرى ، فالنقوش البابليه الاشوريه مثلا تشبه الفينيقيه من حيث انها تتبع نفس الأسلوب فى تأليف عباراتها كما نحس بتطابق الفكره بين النقوش الفينيقيه ونقوش سوآب وزنجرلى ٠

# الباب الثالث

## الحضارة العبرية

لقد حمل العبريون هذه التسميه نسبة الى عابر الجد الأعلى لهم كما تشير شجرة الانساب في سفر التكوين فقد ورد فيها : هذه مواليد سام ٠٠٠٠٠ وعاش شالح ثلاثين عاما وولد عابر وعاش شالح بعد ان ولد عابر اربع مئة وثلاث سنين وولد بنين وبنات[١] . وهناك رأى آخر يقول ان هذه التسميه مشتقه من الفعل السامى الشائع في العربيه ( عبر ) بمعنى اجتاز والعبر بكسر العين وسكون الباء اسم موجود في اللغه العبريه بكسرتين خفيفتين ومعناه كما هو في العربيه : الجهه الأخرى التى يستلزم الوصول اليها اجتيازا أو عبورا ، وقد استعملت العبريه : عبر الوادى بمعنى الناحيه الأخرى منه ( صموئيل الأول ٢١/٧ )[٢] . والعبور هنا يقصد به عبور الفرات حيث كان الفرات بالنسبه للساميين جميعا هو النهر الكبير[٣] ، وكان

---

(١) انظر تكوين ١١/١٠ ـ ١٥ .

(٢) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٧١ .

(٣) تكوين ١٥/١٨ قارن كذلك تثنية ١/٧ ، اشعيا ١/٤ .

كثيرا مايسمى النهر بدون ذكر اسمه أو صفته (١) .

وبناء على ذلك يكون العبرى هو ساكن الأرض الواقعه الى الضفه الغربيه من الفرات وهى الاقاليم المتاخمه لسوريا والتى تسمى بادية الشام . ويؤكد هذا الرأى ماورد فى شعر يوشع حيث تقرأ : " هكذا قال الرب اله اسرائيل اباؤكم سكنوا فى عبر النهر من الأزل تارح أبو ابراهيم وابونا صور وعبدوا آلهه أخرى فأخذت ابراهيم اباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان واكثرت نسله واعطيته اسحق " (٢) .

وكان هؤلاء العبريون قبل وصولهم الى ارض كنعان مجموعه من العشائر الساميه البدويه المتنقله حول المدن العراقيه الكبرى مثل أور فى جنوب العراق ومارى فى وسطه وحران فى شماله وكانت مدينة حران التى تقع عند ملتقى حدود العراق وسوريا منطلق الخطوه الثانيه لرحلة هؤلاء البدو من بلاد اكد الى بلاد آمورو غربا وهم اذن يعبرون نهر الفرات وعلى هذا الاساس يسمون بالعبريين .

---

(١) تكوين ٢١/٣١ ؛ خروج ٢١/٢٣ ، عدد ٥/٢٢ ، تثنيه ٢٤/١١ صموئيل ثان ٣/٧ ، ارميا ٧/٨ ، ١٥/١١ .

(٢) يوشع ٢/٢٤ ـ ٣ .

وهناك رأى يقول ان هذه التسميه تطابق التسمية الواردة فى رسائل تل العمارنه وفى النقوش المصريه القديمه وهى الهبيرو أو الخبيرو ولكن هذا الرأى مرفوض لأن اشتقاق التسميتين بعيد فالخبيرو أو الحبيرو مشتقه من الكلمه العبريه חבר بمعنى رفيق أو صاحب .

وبعد ان عبر العبريون نهر الفرات وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام ساميين آخرين من البدو الرحل فى أطراف بادية الشام وهم الآراميون ؛ ويبدو أن الطرفين قد تعايشا معا وامتزجا مدة طويله من الزمن وحصلت بينهما مصاهره كما حدث تبادل فى الثقافه العمليه وفى المعتقدات والطقوس الدينيه . وامتدت الروابط بينهما لدرجة ان العبريين بعد ان هاجروا نحو بلاد الكنعانيين كان شيوخهم مثل اسحق ويعقوب اذا أرادوا الزواج اتجهوا نحو فدان آرام معقل الآراميين فى عبر الفرات من جهة سوريا ليخطبوا لهم زوجات وكان آباؤهم ينهونهم عن الزواج من بنات الكنعانيين . ويقول موسى عن نفسه : كان أبى آراميا تائها [1] .

وعندما نزل العبريون الأوائل وعلى رأسهم ابراهيم ،

---

(١) تثنيه ٥/٢٦ .

اسحق ويعقوب الى ارض كنعان — وهى الطرف الغربى للهلال الخصيب وكان هذا الاقليم المحصور بين البحر والصحراء طريق قوافل وطريقا بحريا من الأول يربط آسيا بالبحر المتوسط وبمصر على وجه الخصوص — لم يكن فى هذا الاقليم أمة نقية الجنس تماما حيث هبطت اليه عشائر تنتمى الى امم كثيره منذ فجر التاريخ بديانانتها ، حضاراتها ولغاتها وطقوسها ؛ فقد عاش فيه نازحون من مصر القديمه ومن العراق القديم ومن فينيقيا ومن كريت وقبرص وبحر ايجه بل ومن سكان المناطق الجبليه داخل آسيا .

وظل العبريون — كما كانوا بدوا رحلا — يعيشون على هامش المدن والبلدان الفلسطينيه التى كان يسكنها الفلسطينيون ؛ الكنعانيون ؛ الاموريون الحيثيون ؛ الأدوميون وغيرهم . وكان هؤلاء العبريون البدو يكثرون من المجئ الى مصر كلما حدث فى فلسطين حرب كما حدث ايام ابراهيم كما تروى لنا التوراه [1] . ودخل العبريون مصر أيام يعقوب ويوسف وعاشوا هناك فترة من الزمن فى اقليم الجوش شرق الدلتا بالقرب من صحراء سينا . وبعد ان عاشوا فى مصر فترة طويله خرجوا منها تحت قيادة موسى فيما يعرف فى التوراه باسم

---

(١) تكوين ١٢ / ١٠ — ١٣ .

سفر الخروج أى الخروج من مصر الى أرض فلسطين التى وعدهم الرب بها . وهناك خلاف حول شخصية موسى هل كان عبريا أم مصريا والمعروف من التراث الدينى أنه كان نبى بنى اسرائيل وعلى هذا نعتبره عبرانيا .

وتحكى لنا التوراه ان أرض فلسطين كانت فى يوم من الأيام ارضا تفيض لبنا وعسلا (١) حيث كان بها من الأمطار مايكفى حاجة الزراعه وكان بها كثير من الأشجار وكانت مملوءه بفاكهة الخريف منها البرى ومنها المنزرع وهذه الأشجار لاتروى ريا طبيعيا ولكنها تحصل على معظم ماتحتاج اليه من الرطوبه من ماء المطر الذى لاينقطع عنها . وكانت أمطار الربيع التى تسقى الأرض تخزن فى الأيام الخاليه فى صهاريج أو ترفع الى سطح الأرض مرة أخرى من آبار كثيرة العدد وتوزع فى أنحاء البلاد فى شبكه من القنوات وعلى ذلك كان هذا الاستقرار من عوامل قيام الحضاره فى هذه المنطقه . وكان سكان المنطقه يزرعون الشعير ؛ القمح الذره ، الكروم ، الزيتون ، التين ، البلح وغيرها من الفواكه .

ونعرف من قصص التوراه ان جماعة ابراهيم قد خرجت من أور فى بلاد سومير واستقروا فى فلسطين حوالى ٢٢٠٠ ق.م

---

(١) خروج ٣/٨ ؛ عدد ١٤/٨ ؛ تثنيه ٢٦/١٥ .

أى قبل موسى بحوالى الف عام أو أكثر . ولكن التاريخ الحقيقى للعبريين يبدأ بخروجهم من مصر تحت قيادة موسى وتحكى لنا التوراة عن اقامة بنى اسرائيل فى مصر فتقول : واما اقامة بنى اسرائيل فى مصر فكانت اربع مئه وثلاثين سنه وكان عند نهاية اربع مئه وثلاثين سنه فى ذلك اليوم نفسه خرجت جميع جنود الرب من ارض مصر ( خروج ١٢ / ٤٠ — ٤٢ ) وعلى ذلك يرى بعض العلماء ان تاريخ دخول بنى اسرائيل مصر كان فى عام ١٦٥٠ ق.م وان خروجهم منها كان عام ١٢٢٠ [1] . ويرى آخرون ان موسى عاش فى بلاط الأميره حتشبسوت ( عام ١٥٢٧ ق.م ) وتربى فى بلاطها وأنه فر من مصر فى عهد عدوها تحتمس الثالث وكان خروجه من مصر عام ١٤٤٧ ق.م وكلها آراء لاتعتمد على حقائق ثابته .

وذهب فريق آخر من العلماء الى القول بأن العبريين جاءوا الى مصر بعد ان طردهم الادوميون سنة ١٤٣٠ ق.م فى عهد امينوفيس الثانى وانهم اقاموا فى مصر ٢١٥ عاما حتى كان عهد رمسيس الثانى الذى اضطهدهم واجبرهم على مغادرة البلاد سنة ١٢٣٠ ق.م . وهذا الرأى يتفق مع الحقيقه التى

---

(١)

كشفت عنها الأبحاث الأثريه الحديثه التى اثبتت ان المدن التى كان العبريون يقيمون فيها على حدود مصر قد شيدت قبل عهد رمسيس الثانى وان مايقال من أن رمسيس الثانى قد اضطهدهم وقت بناء هذه المدن غير صحيح لأن هذه المدن بنيت قبل عهد رمسيس ربما فى عهد الأسره الثامنه عشره . وهذا يعنى ان العبريين كانوا يقيمون فى مصر فى عهد الاسره الثامنه عشره وظلوا يقيمون فيها حتى عهد رمسيس الثانى سنة ١٢٣٠ ق.م ثم جاء منفتاح خليفة رمسيس الثانى وتدفقت قواته الى فلسطين وحاربت أهلها وانتصرت عليهم وسجل هذا النصر فى لوحة منفتاح الشهيره التى قيل فيها :

لقد غلب الملوك وقالوا سلاما
وخربت تحينو
وهدأت أرض الحيثيين
وانتهبت كنعان وحلت بها كل الشرور
وخربت اسرائيل ولم يعد لابنائها وجود

وكان هذا النصر ١٢٢٥ ق.م ؛ وهذا يعنى ان العبريين استقروا فى فلسطين قبل عهد منفتاح وكان استقرارهم فيها فى عهد رمسيس الثانى وعلى ذلك من المرجح القول بأن العبريين دخلوا مصر ١٤٣٠ وخرجوا منها واستقروا فى فلسطين ١٢٣٠ ق.م .

وكان العبريون يقيمون على حدود مصر الشرقية فى عهد رمسيس الثانى وكانت بعض بطونهم تقيم حول تلغة تيثوم ورعمسيس على الحدود الشرقية للبلاد وتوغل بعض هذه البطون فى اقليم شرق الدلتا وكان رعمسيس يعمل على حراسة الحدود وتقوية الحصون فعمد الى هاتين المدينتين فاصلحهما وبنى مخازن الحبوب على الحدود واكثر من بناء المعابد فى هذه المنطقة فعمد الى تسخير البدو المقيمين فى هذه المنطقه فثارت ثائرة القبائل العبرية وثارت على فرعون مصر ووقف لهم الفرعون محاولا اخضاعهم واذلالهم حتى يذعنوا له بالطاعه · وكان موسى عليه السلام هو عقل هذه الثوره وقلبها فأقنع عشيرته بأن للسماء الها أقوى من الهة المصريين وان هذا الاله سيخلص القبائل العبريه من العبودية وسوف يعدها بأرض فلسطين ·· وحقق موسى رسالته وقاد عشيرته فى خروجها من مصر حتى غادرت حدودها الشرقية وبدأت تخترق شبه جزيرة سيناء فى طريقها الى فلسطين · وكانت حياتهم فى شبه جزيرة سيناء لاتختلف عن حياتهم السابقة فى مصر اذ ظلوا يحيون حياة البداوه القائمه على البحث عن مواطن الماء ومنابع الكلأ واتخذوا مدينة قادش[1] مركزا لهم ومقرا لزعمائهم · ولكن هؤلاء العبريون ثاروا ضد موسى وأخيه هارون عندما شعروا بأنهم

---

(١) تقع قادش عند مفترق عدة وديان صحراوية تأتى من الاسماعيليه والعقبه وجبرون وغزة ·

خسروا حياة الرخاء في مصر وقالوا لموسى :

ليتنا متنا في مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا حتى نشبع ولكنكما اخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتنا كل هذا الجمهور بالجوع (١) . وتذكر لنا التوراه أيضا ان هذه الجماعات خاصمت موسى وتذمرت عليه عندما لم تجد الماء :

وفي بعض اماكن البريه لم يجدوا ماء فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه ؛ وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش (٢) .

وقد ترك موسى قومه في الطريق الى فلسطين لكى يصعد الى جبل الطور بناء على أمر ربه ويظل صائما ثلاثين ليله ليتلقى من الله الوصايا والتعليمات التى يسير عليها هو وشعبه ولكن هذه الليالى طالت الى اربعين ليله وفي هذه الفتره يعود قوم موسى الى طبيعتهم الوثنيه ويعبدوا العجل .. وتوضح لنا التوراه هذا الموقف في سفر الخروج فتقول :

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهه تسير

---

(١) سفر الخروج ١٦/٢ ــ ٣ .
(٢) سفر الخروج ١٧/٣ .

أمامنا لأن موسى الذى أصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واحضروها لى ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها الى هارون فأخذ ذلك من ايديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا ..... فقال الرب لموسى اذهب لأنه قد فسد شعبك الذى اصعدته من ارض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا (١) .

ونزل موسى من الجبل وغضب غضبا شديدا على قومه لعودتهم الى الوثنيه وعبادتهم العجل وبدأ موسى يسير بقومه نحو فلسطين التى كانت عامره بسكانها الاصليين وخاف بنو اسرائيل الحرب وحاول موسى اقناعهم بالدخول ووعدهم بالنصر ولكنهم لم يطيعوه وذهبوا شيعا وكتب الله عليهم التيه اربعين سنه فى الصحراء لعدم طاعتهم لنبيه .

ومات هارون وموسى فى فترة التيه ودفن هارون فى جبل هور ودفن موسى فى كثيب أحمر حيث كان يرى ارض فلسطين ولم يدخلها .

---

(١) خروج ٣٢ / ١ — ٨ .

وتولى يوشع بن نـون قيادة بنى اسرائيل بعد موســـى وكان موسى قد اختاره قبل موته لقيادة شعبه [1] . واتجه يوشـع الى الشمال شرقى نهر الأردن وبدأ يعد العدة لعبور الأردن ونزول فلسطين ولما عبر بنو اسرائيل النهر كانت أول المدن التى استولوا عليها مدينة اريحا وارسل يوشع رسولين للتجسس فد خلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وخبأتهما المرأة عندما شاع أمرهما وبعد بضعة أيام اقتحم بنو اسرائيل مدينة اريحا وقتلوا كل مابها من انسان أو حيوان وحرقوا المدينة كلهم ولم ينج من الموت من سكان المدينة الا المرأة الزانية وأهلها [2] . ودخل يوشع وقواته فلسطين .

ويمكننا ان نقسم تاريخ حياة بنى اسرائيل فى فلسطين الى ثلاث فترات :

١ ـ فترة القضاة .
٢ ـ فترة الملوك .
٣ ـ فترة الانقسام .

---

(١) عدد ٢٧ / ١٥ ـ ٢٠ .
(٢) سفر يشوع الاصحاح السادس .

## ١ — فترة القضاء :

يعتبر سفر القضاء سجلا تاريخيا لتاريخ بنى اسرائيل منذ دخولهم فلسطين وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاة من الكهنة ، وكان بعض القضاة نساء أحيانا حيث يتكلم سفر القضاء عن دبورة قاضية اسرائيل[1] ولم يكن هناك ملك يحكمهم في تلك الايام بل كانت الارض مقسمة بين اثنى عشر سبطا يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى . وكان نظام الحكم لايقوم على أساس الدولة بل على اساس الحكم الأبوى في الاسره فكان مجلس العشيره هو الذى يفصل في شئون القبيله واذا فشل هذا المجلس كانوا يلجأون الى القاضى . وقد استمر عهد القضاة حوالى أربعة قرون كما يشير لذلك حساب سفر القضاة . وتعتبر هذه الفترة وهى فترة القضاء بداية الاستقرار بعد التجوال والتيه وعلى ذلك بدأت حياتهم تتغير شيئا فشيئا وبدأ انتقالهم من حياة البدو الى حياة الاستقرار ومن حياة الخيام الى القرى الساذجة كما بدأوا يعرفون الزراعه الى جانب الرعى الذى كان كل عملهم ومصدر ثرائهم الوحيد . وكانوا يقلدون الكنعانيين حيث أخذوا عنهم بناء القرى والزراعه ، التقدم في الصناعه كما أخذ اليهود

---

(١)

الحدادون عن الكنعانيين تطوير الأسلحة وصنع آلات الزراعـــــه وازدهرت كذلك صناعـة الفخار عـند هم بما اكتسبوه من خبره مـن الكنعانيين [1] .

٢ — **فترة الملـــوك :**

انهار نظام حكم الـقضاء تحت ضغط مطالب الحرب الملحه و رأوا ضرورة لتعيين ملك عليهم يجمعهم فى وحدة شامله وخاصـــة بعد أن تفشت الرشوه بين القضاء وانتشر فسق القضاء ٠ ويوضـــح لنا الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الاول قصة الانتقال من عصـــر القضاء الى عصر الملوك فيقول :

لما شاخ صموئيل جعل ابنيه قضاء لبنى اسرائيل ولكنهمـا لم يسلكا طريقه ومالا وراء الكسب ٠ وأخذ الرشوع وعـوجــــــا القضاء ؛ فاجتمع شيوخ بنى اسرائيل وجاءوا الى صموئيل وقالـوا له : انت قد شخت وابنـاك لم يسيرا فى طريقك فاجعل لنا الآن ملكا كسائر الشعوب ؛ فصلى صموئيل للرب فقال له الـــــــرب : اسمع لصوتهم ؛ انهم لم يرفضوك ولكنهم رفضونى أنـــــــــا

---

(١)

انهم تركونى وعبدوا آلهة أخرى فاسمع لصوتهم ولكن أشهد عليهم .
قال صموئيل لبنى اسرائيل : ان الملك الذى سيملك عليكم سيأخذ
بنيكم ويجعله لنفسه : لمراكبه وفرسانه فيرتضون أمام مراكبه
ويحرثون له ويحصدون ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات
ويأخذ حقولكم وكرومكن وزيتونكم ويأخذ جواريكم وشبانكم الحسان
وحميركم ..... فأبى الشعب ان يسمع لصموئيل وقالوا : لا بل
يكون علينا ملك مثل سائر الشعوب يخرج أمامنا ويحارب حروبنا (١) .

بعد ذلك اختار لهم صموئيل شاءول ليكون أول ملك عليهم
وهو الذى يسميه القرآن الكريم " طالوت " (٢) وقادهم شاءول الى
المعارك وكان داود أحد رجاله وهو الذى هزم جلبات قائد
الفلسطينيين واشتهر داود شهرة واسعة مما جعل شاءول
يحقد عليه وفكر في التخلص منه بقتله حتى لايزاحمه في الملك وبدأ
مطاردته حتى ان داود لجأ الى الفلسطينيين مرتين هاربا (٣) .
وانتهز الفلسطينيون هذه الفرصه والخلاف بين شاءول وداود
فهاجموا بنى اسرائيل واوقعوا بهم الهزائم وسقط شاءول فى احدى
هذه المعارك بوادى يزرعيل ونقلت دروعه الى معبد فينوس

---

(١) انظر سفر صموئيل الأول الاصحاح الثامن .
(٢) سورة البقرة الآية ٣٤٩ .

(٣)

الفلسطيني ودقوا جسمه بالمسامير على أسوار بيت شان [١] .

وبعد موت شاءول ظهر الصراع بين داود واشبوشت ابن شاءول الذى كان يؤيده ابنير قائد جيوش ابيه ؛ ولكن داود تغلب عليهما وذبحهما واستقر له الملك بعد ذلك واصبح داود الملك الثانى لبنى اسرائيل وظل الحكم وراثيا بعده . ومن أبرز اعمال داود انه استولى على اهم مدن فلسطين وهى اورشليم أو أورسالم ومعناها بالكنعانيه مدينة السلام ؛ وكانت المنطقة التى تقع فيها هذه المدينه تحت سلطان اليبوسيين من القرن الخامس عشر ق.م ، واليبوسيون بطن من بطون كنعان وقد سميت المدينه يبوس خلال مدتهم ولما استولى عليها داود أعاد اسمها القديم اورشليم واتخذها عاصمه له ونقل التابوت اليها وخصص مساحه كبيره هناك ليشيد عليها الهيكل المقدس . واستطاع داود ان يدير مملكته اداره ناجحه وتحالف مع حيرام ملك مدينة صور الفينيقيه وتوطدت العلاقة بين حيرام وسليمان ابن داود وتم تشييد اسوار اورشليم ومعبدها . ويحكى لنا العهد القديم عن داود أنه جمع كل الشعب وذهب اله ربه — عاصمة عمون وهى عمان اليوم — وحاربها وأخذها وأخذ تاج ملك عمون ووضعه على رأسه وأخرج الشعب الذى كان فى المدينه

---

(١)

ووضعه تحت مناشير ونوارج وفئوس حديد وهكذا صنع بجميع مدن عمون ثم رجع داود وجميع الشعب الى اورشليم [١] . وداود هو الذى أخذ امرأه اوريا الحيثى بين نسائه وأرسل أوريه الى الصف الاول فى ميدان القتال ليتخلص منه [٢] ، وحكم داود اربعين سنه منها سبع فى حبرون والباقى فى بيت المقدس [٣] .

وجاء سليمان بعد ابيه داود وبدأ حكمه بقتل اخيه الاكبر ادونيا وقتل يوآب رئيس جيش ابيه وعزل ابياثار الكاهن . وكانت مصر واشور مرتبكتين فى بداية عهد سليمان فنعم بالسلطان فتره من الزمن واستطاع ان يصاهر فرعون مصر ( شيشنق ) ؛ وانكمش ملك سليمان فى آخر عهده ، فاصبح غرب الاردن فقط . وقسم سليمان بلاده ، اثنى عشر قسما اداريا وتعمد ان تكون حدودها متفقه مع حدود منازل الاسباط الاثنى عشر وكان يريد ان يضعف النزعه الانفصاليه بينهم ولكنه لم يفلح فى ذلك . وقد أصبحت اورشليم فى ايام سليمان من انشط الاسواق التجارية فى الشرق الادنى وحافظ سليمان على الصلات الوديه مع حيرام ملك صور وشجع التجار الفينيقيين على تسيير قوافلهم التجاريه داخل أرض

---

(١) صموئيل الثانى ١٢ / ٢٩ — ٣١ وقارن ايضا سفر الملوك الاول .

(٢)

(٣) ملوك أول ٢ / ٢١ .

فلسطين وازدهرت فى أيامه تجاره رابحه قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا بمنتجات اسرائيل الزراعيه • وانشأ اسطولا تجاريا فى البحر الاحمر وأغرى حيرام على ان يستخدم هذا الطريق الجديد بدل طريق مصر فى تجارته مع بلاد العرب وافريقيه • واستخرج سليمان من جزيرة العرب الذهب وحجارة " أوفير " الكريمه ومن بلاد العرب جاءت اليه ملكة سبأ تخطب وده • ويقال عن سليمان انه تزوج من سبعمائه امرأه وكان عدد سراريه ٣٠٠ ولعله اراد ببعض هذه الزيجات ان يوطد صلاته مع مصر وفينيقيه • وقد انفق سليمان موارده فى تقوية دعائم حكومته وتجميل عاصمته •• ومن اعماله فيها ترميم الحصن الذى اقيمت حوله • وأقام فيها كثيرا من الحصون ووضع حاميات فى المواقع ذات الاهمية العسكرية فى مملكته • وشيد سليمان هيكلا كبيرا وخصص له كميات كبيرة من الذهب والفضه والنحاس والحديد والخشب والحجاره الكريمه من مخازنه الخاصه وكان طراز الهيكل هو الطراز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر واضافوا اليه ما أخذوه عن الاشوريين والبابليين من ضروب التزيين • وكان الهيكل عباره عن سياج مربع يضم عدة اجنحة وكان طوله حوالى مائه واربع وعشرين قدما وعرضه حوالى خمس وخمسين وارتفاعه اثنتين وخمسين •

ويشير كتاب العهد القديم الى ان سليمان اقام مذابح للآلهه الاجنبيه التى كانت تعبدها زوجاته الاجنبيات واشتهر

سليمان بحكمته الواسعه .. ويخبرنا سفر الملوك الاول انه بعد موت سليمان اجتمع شيوخ بنى اسرائيل وكلموا ابنه رحبعام قائلين : ان اباك كان قاسيا علينا فخفف انت من عبودية ابيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا (١) . وبموت سليمان بدأ عهد الانقسام .

٣ — فترة الانقسام :

بعد وفاة سليمان حوالى ٩٣٥ ق.م اعلن رحبعام نفسه ملكا على دولة اليهود وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين فى أورشليم على ذلك ثم اتجه رحبعام الى الشمال لاخذ البيعه من باقى الاسباط فاجتمع حوله شيوخ بنى اسرائيل فى شكيم ( وهى نابلس حاليا ) وانضم لهم اخوه يربعام الذى كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته فهرب الى مصر ثم عاد الى فلسطين بعد وفاة سليمان وقالوا له انهم يريدون منه ان يخفف من نيره حيث كان ابوه سليمان قاسيا ولكنه اعلن لهم انه سوف يكون اكثر عنفا من ابيه . وعلى ذلك رفض شيوخ الاسباط فى الشمال ان يبايعوه وبايع الاسباط العشره يربعام ملكا وأراد رحبعام ان يحارب اخاه ولكن النبى شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب ؛ وهكذا

---

(١) ملوك أول ١٢ / ٤ .

انقسمت المملكة الى مملكتين : جنوبية واسمها يهوذا وعاصمتها اورشليم وشماليه واسمها اسرائيل وعاصمتها شكيم (١) . ويوضح لنا سفر الملوك تاريخ هاتين المملكتين ويقول ان مملكة سليمان قد ضعفت فى آخر ايامه وخاصة عند ما ثار عليه ابنه يربعام وايده كثير من الشيوخ بسبب الضرائب الكثيرة التى فرضها سليمان . وكان فرعون مصر شيشنق قد استعاد قوته ومهد لاستعادة سلطانه على فلسطين باغتيال حيرام ملك صور الذى تحالف مع داود وسليمان . ولما مات سليمان بدأ شيشنق ينفذ تخطيطه واستغل يربعام فى ذلك وكان نجاح يربعام فى التسلط على الجزء الشمالى انتصار لفرعون مصر الذى لم يكتف بذلك بل غزا فلسطين وصعد الى أورشليم وبسط سيطرته على دولة يهوذا ثم على دولة اسرائيل وامتد سلطانه الى الجليل .

وكانت مملكة يهوذا اكثر استقرارا وهدوءا فى حين كانت مملكة يهوذا مضطربة كثيرة الانقلابات ومن أجل هذا تقلب على عرشها ملوك من اسر متعددة وتغيرت عاصمتها اكثر من مرة فى حين ظلت عاصمة مملكة يهوذا هى اورشليم . وظلت المملكتان تتطاحنان وتستعين كل منها بالدول المجاورة حتى عام ٧٢١ ق.م حيث أدى الاسر الاشورى فى عهد الملك سرجون الثانى ملك

---

(١) سفر الملوك الاول : الاصحاح ١١ — ١٢ .

اشور الى القضاء على مملكة اسرائيل وظلت مملكة يهوذا باقية حتى سقطت تحت يد البابليين عام ٥٨٦ ق٠م فيما يعرف بالأسر البابلى ٠ فقد سيطر نبو خذ نصر ( بختنصر ) ملك بابل على اشور وزحف الى فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة اسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل صدقيا بن يواقيم آخر ملوك يهوذا ونهب اورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى اكثر السكان الى بابل وفر بعضهم الى مصر وغيرها واقام بختنصر على فلسطين واليا من قبله وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ويعرف هذا بالاسر البابلى وهو التدمير الاول للمدينه والمعبد ٠ وفى ٥٣٨ ق٠م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل واصبح له السلطان على أرض يهوذا واطلق الفرس على شعب يهوذا اسم اليهود واطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية (١) وعلى ذلك أصبحت كلمة " اليهود " تعنى من اعتنق اليهوديه حتى ولو لم يكن من بنى اسرائيل (٢) .

وسمح قورش لليهود بالعوده الى فلسطين ولم يقبل العودة سوى قلة من اليهود — لأن الآخرين ألفوا الحياة فى بابل وعرفوا خصب العيش والتجاره الرابحه — أعادوا بناء المدينه المقدسه

---

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٣١٨ ٠

(٢) الدكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٦ ص٩٥ ٠

كما بنوا بها معبدا صغيرا مكان الهيكل بتصريح من قورش وصاروا جماعه تابعه للحكم الفارسى ولم يكونوا دوله مستقله لهم وكانت هناك خلافات بينهم وبين حكامهم الفرس ومن اجل ذلك رحبوا بالاسكندر الاكبر عندما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق.م وأصبح حكم فلسطين فى ايد البطالسه بعد الاسكندر .. ولكن اليهود لم يعرفوا الاستقلال والاستقرار فى ظل الحكم الجديد وكان من أبرز ثوراتهم فى هذه الفتره الثوره التى قاموا بها عام ١٦٧ ق.م بقيادة الكاهن ماتياس وهى الثوره التى هزم فيها ماتياس وهرب ومات فى العام التالى وتولى ابنه مكابياس قيادة الثوار ودفع حياته ثما لعصيانه عام ١٦١ ق.م وهو الذى ينسب اليه اسم المكابيين الذين حاولوا ان يحققوا اى لون من الوان الاستقلال لليهود دون جدوى . وفى عام ١٠٤ ق.م استطاع القائد المكابى ارستبولس ان يأخذ لقب " الملك " ولكنه لم يدم طويلا . وفى عام ٦٣ق.م دخل الرومان فلسطين واستولوا على القدس بقيادة القائد الرومانى بامبيوس . وحلت اسرة هيرودوس محل المكابيين واستطاع هيرودوس الكبير ( ٧٢ — ٤ ق.م ) ان يقضى على اخر ملوك المكابيين ليثأر لابيه منهم وحاول ان يرضى اليهود فبنى لهم هيكلا على نسق هيكل سليمان عام ٢٠ ق.م وظل هذا الهيكل حتى عام ٧٠ ميلاديه عندما دمر الامبراطور تيطس الرومانى مدينة اورشليم وحرق الهيكل بسبب ثوره قام بها اليهود فى المدينه . ويعد هذا التدمير هو التدمير الثانى للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول .

## الفصل الاول

## الدين والفن عند العبريين

يعتبر العهد القديم هو النص الاساسى الذى يقوم عليه دين اليهود وهو فى صورته التى وصل الينا بها يحتوى على ثلاثة أقسام : التوراه الانبياء والكتب أو اسفار الحكمه ٠

وتتألف التوراه من خمسة كتب أو اسفار تنسب الى موسى وتوصف بانها انزلت عليه من الله فى طور سيناء ٠ وهى تغطى فترتمن التاريخ تبدأ معبدأ الخليقه وتنتهى بوفاة موسى على جبل نبو فى شرق الاردن حوالى ١٣٠٠ ق٠م ٠ وتتكون التوراه من :

١ ـ سفر التكوين : ويضم خمسين اصحاحا ويتحدث عن قصص آدم ، نوح والطوفان وابناء نوح سام وحام ويافث ٠ ثم يتحدث عن الجد الاعلى الذى ينتمى اليه اليهود وهو ابراهيم ويتحدث عن سلالته مع التركيز على سلالة ابنه اسحق ثم يعقوب بن اسحق الذى يسمى ايضا اسرائيل ٠ وينتهى السفر بقصة يوسف ومجيئه الى مصر واستقراره هو وأبوه واخوانه الاحد عشر فى مصر حتى توفى ابوه وذهب به ليدفنه فى ارض فلسطين ٠

٢ ـ سفر الخروج : ويضم اربعين اصحاحا ويبدأ بالحديث عن اضطهاد فراعنه مصر لبنى اسرائيل الذين اصبحوا خطرا يهدد البلاد . ثم يتحدث السفر عن مولد موسى ونشأته وتحركاته حتى تسلم الوحى الالهى على جبل الطور باخراج اليهود من مصر وتحدى فرعون مصر . وبدا موسى رحلته عبر سيناء ثم تلقى الوصايا العشر . ويضم هذا السفر مجموعه هامه من الشرائع والقوانين تسمى " قانون العهد " .

٣ ـ سفر اللاويين : ويضم السفر سبعة وعشرين اصحاحا وهو يسمى كذلك سفر الاحبار لان الشرائع والطقوس الكهنوتيه تحتل المكان الاول فيه . وكانت مهمة الكهانه موكوله الى سبط لاوى بن يعقوب وهى القبيله التى ينتمى اليها موسى وأخوه هارون . وهذا السفر يحتوى على التعاليم الخاصه بالحياه الدينيه وتتصل نصوصه مع القسم الاخير من سفر الخروج وجزء كبير من سفر العدد الذى يليه .

٤ ـ سفر العدد : ويضم ستة وثلاثون اصحاحا وسمى بهذه التسمية لظهور ظاهرة التعداد خلال اصحاحاته حيث يقدم لنا احصاء تفصيلى للشعب الذى خرج مع موسى كما يشير الى عدد المدن والقرى وعدد الذبائح أيضا .

ويتحدث هذا السفر أيضا عن قصة مسيرة موسى وبعض الاحكام الشرعيه .

٥ — سفر التثنية : ويسمى كذلك " تثنية الاشتراع " أى اعادة الشريعه وتكرارها على بنى اسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم الى سهول النقب وجنوب الاردن فى صحراء مؤاب . وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعه الاولى عند تثنيتها . وهذا السفر يضم اربعه وثلاثين اصحاحا .

ثانيا — الانبياء :

يتضمن هذا القسم من العهد القديم ماحدث للعبريين بعد موت موسى منذ دخولهم أرض فلسطين مع يوشع بن نون خليفة موسى حتى السبى البابلى . وهذا القسم يغطى فترة زمنيه تمتد بين حوالى ١٣٠٠ حتى ٣٠٠ ق.م أى قرابة الف سنه . وينقسم هذا القسم الى قسمين : الانبياء الأول والأنبياء الأخر .

أ — الانبياء الاول ويتألف من اربعة اسفار :

١ — يوشع بن نون ويضم اربعه وعشرون اصحاحا تروى اقتحام العبريين ارض فلسطين بزعامة يوشع .

ويموت يوشع فى تمنه من بلدان فلسطين بعد سلسلة من المغامرات ٠

٢ — القضاء : يسرد هذا السفر الاحداث الاولى التى قام بها العبريون فى فلسطين ٠

٣ — صمويل وينقسم الى قسمين اولهما يروى انتقال صمويل من صفة القاضى الى صفة النبى ونضاله من اجل توحيد كلمة العبريين تحت تاج واحد ثم اختيار شاؤل ليكون ملكا وانتحار هذا الملك على أثر موقعه حربيه فاشله ضد الفلسطينيين ٠ ويروى القسم الثانى جهود ذلك النبى فى تولية داود العرش واستيلاء داود على أورشليم وتشييده قلعه حربيه على جبل صهيون ٠ وينتهى سفر صمويل الثانى بالحديث عن شيخوخة داود وتعيين ابنه سليمان ملكا من بعده ٠ ويضم القسم الاول ثلاثين اصحاحا والقسم الثانى اربعة وعشرين ٠

٤ — الملوك : وينقسم الى قسمين : الملوك الاول ؛ والملوك الثانى ٠ ويضم القسم الاول اثنين وعشرين اصحاحا تحدثت الاحد عشر الاولى عن مملكة سليمان وبناء الهيكل ثم وفاته ٠ ويتحدث السفر من

الاصحاح الثانى عشر عن تصدع مملكة سليمان بعد موته وانقسامها الى قسمين : مملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها اورشليم ويجلس على عرشها رحبعام بن سليمان . ومملكة اسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامره وجلس على عرشها يربعام ابن نباط .

ويستمر ذكر المملكتين وماتوالى عليهما من ملوك وأنبياء واحداث حتى سقوط المملكه الشماليه أمام الجيش الاشورى ثم تدمير مملكة يهوذا على يد بختنصر .

ب — الأنبياء الاخر : ويحتوى على تراث القادة الروحيين الذين حاولوا شد ازر اليهود فى ظروف قاسية احاط بهم فيها الاعداء من كل جانب . ويضم اربعة اقسام هى : اشعيا ، ارميا ، حزقيال ، الاثنى عشر نبيا وهم :

| | |
|---|---|
| — هوشع | — يوئيل |
| — عاموس | — عوبديا |
| — يونس | — ميخا |
| — ناحوم | — حبقوق |
| — صفنيا | — حجى |
| — زكريا | — ملاخى . |

ثالثا — الكتب :

وتسمى أيضا كتب الحكمه وهى مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الادبى شعرا أو نثرا ويتضمن بعضها تراثا من القصص والحكم تواتر عبر الأجيال ؛ ويتصل بعضها الآخر بالكيان السياسى والاجتماعى والدينى لليهود .. وترتيب هذه الكتب حسب ورودها فى العهد القديم كما يلى :

١ — مزامير داود ٠
٢ — امثال سليمان ٠
٣ — أيوب ٠
٤ — نشيد الاناشيد وأصله مسرحيه غنائيه من الفولكلور اليهودى الخاص بحفلات الزواج ٠
٥ — روث وهى قصة بطله ترجع الى عهد القضاه ٠
٦ — المراثى وهى مجموعة قصائد تنسب لارميا فى البكاء على أورشليم بعد تخريبها ٠
٧ — الجامعه أو قوهيلت وينسب الى أحد ابناء سليمان وهو خواطر فلسفيه ٠
٨ — استير ، وهى نبية حصلت على وعد من امبراطور فارس بالقضاء على أعداء اليهود فى مملكته ٠
٩ — دانيال : يتضمن قصة حياة هذا النبى ايام حكم

بختنصر •

١٠ - عزرا : وينسب اليه جمع نصوص العهد القديم ولذا يسمى عزرا الكاتب واشتهر بقيادة اليهود فى العوده من السبى البابلى لاقامة دولة فى فلسطين يعاونه فى ذلك زر وبابل •

١١ - نحميا : ويحتوى على معلومات هامه عن التنظيم العسكرى للدفاع اليهودى والتنظيم السياسى فى المناطق المحيطه بفلسطين فى ذلك العصر •

١٢ - أخبار الايام وهو تلخيص للوقائع التاريخيه الواردة فى الكتاب المقدس منذ بدء الخليقه حتى عودة اليهود من السبى ايام قورش •
وينقسم الى قسمين : الاول منهما ينتهى بتولى سليمان الملك ويضم تسعة وعشرين اصحاحا •
والثانى يتناول الحديث حتى عهد قورش ويضم ستة وعشرين اصحاحا •

**الكتب غير القانونيه ( الابوكريفا ) :**

وتسمى أيضا الكتب الخارجه التى لم تدخل ضمن كتب العهد القديم المعترف بها • وهذه الكتب غير القانونية هى :

أ — كتابات تاريخيه مثل سفر المكابيين الاول والثاني واسفار النبي عزرا غير القانونيه التي توجد في الترجمه اللاتينيه التي تعرف باسم " فولجاتا " ؛ وكذلك بعض الزيادات المضافة الى سفر اخبار الايام وسفر دانيال وسفر استير ٠

ب — نصوص عقائديه تهاجم عبادة الاصنام وتوضح قدرة الله ومعجزاته التي يظهرها على يد اوليائه ومن اشهر ذلك سفر يهوديت ، طوبيا سفر المكابيين الثالث ، وصايا الاباء ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط الاثنى عشر وأيوب وموسى وسليمان ... الخ ٠

والى جانب الكتاب المقدس ظهرت بين اليهود على مدى عصورهم نصوص مقدسة أخرى أشهرها " المشنا " والجمارا ومن كليهما يتألف التلمود ٠

—

## المشنا ( أو المشنه)

كلمة المشنا في اللغة العبرية مشتقة من فعل يعني بالعربيه اعاد أو كرر وعلى ذلك تعتبر المشنا هي مجموعة الشرائع اليهوديه المرويه على الالسنه والتي يعتبرها اليهود مصدرا من مصادر التشريع ويظنون انها ترتفع الى سيدنا موسى عليه السلام • وقد قام بتدوين المشنا مجموعة من العلماء على رأسهم الرباني يهودا هانا سي• الذى كان رئيسا للكهنه عام ١٧٠ م ويرجع اليه الفضل في اتمام المشنا وترتيبها فقد جمع أقوال من عاصره ومن تقدمه من الائمه والحفاظ وبوبها وقسمها الى مواضيع شتى • ومنذ هذا الوقت اصبحت هذه المجموعة من النصوص والشرائع تسمى " مشنة الربى يهودا تمييزا لها عن محاولات عقيبا ومئير •

وتمتاز لغة المشنا بتأثرها بالآراميه واليونانيه واللاتينية وكذلك الفارسيه وهذا التأثر لم يكن من ناحية الالفاظ فحسب بل من ناحية الاسلوب • فهي تشتمل على بعض الفاظ ومصطلحات وتراكيب ليس لها وجود في العهد القديم •

وتنقسم المشنا الى ستة أقسام يتضمن كل منها أبوابا فرعية وهى :

أ — كتاب زراعيم أو البذور ويبحث في شئون البذور والبذرع والحصاد ويبدأ بتحديد الصلوات المفروضه والبركات أو الادعيه .

ب — موعيد يم بمعنى الاعياد ويبحث في المواسم والاعياد ومايتبع فيها .

جـ — ناشيم أى النساء ويشمل النظم الخاصه بالزواج أو الطلاق .

د — نزيقيم أى الاضرار ويبحث في الجرائم ويحتوى على جزء كبير من الشرائع المدنيه والجنائيه بما في ذلك القصاص والعقوبات والتعويضات .

هـ — قداشيم أى المقدسات ويبحث في القرابين والذبائح المقدسه وخدمة الهيكل .

و — طهاروت أى الطهاره ويتناول أحكام الطهاره والنجاسه والمحلل والمحرم من المأكولات والمشروبات .

ويحتوى كل قسم من هذه الاقسام على عدة فصول ومجموع هذه الفصول الخاصه بالاقسام السته هو ثلاثة وثلاثين فصلا كما يلى :

فصول القسم الاول — البذور :

١ — براخوت أى البركات ويتضمن أحكام الصلاة والعبادة .

٢ — فيئه ومعناها الركن أو الزاويه ويبحث فيما يجب تركه من الأراضى المزروعه للفقراء .

٣ — دماى ومعناها الشئ الذى فيه شبه ويهتم بأحكام شراء الحبوب التى يشتبه انه لم يدفع عنها زكاة العشر .

٤ — كلائيم ومعناها المخلوطات وتنهى عن خلط النبات أو الحيوان عند الانتاج أو البيع .

٥ — شبعيت أى السنه السابعه ويبحث فى موضوع راحة الأرض فى السنه السابعه .

٦ — تروموت : أى المنح والذبائح ويتحدث عن الضريبه التى يدفعها المزارعون للكهنه .

٧ — معسروت أى العشور وهى الزكاه التى تقدم للكهنه اللاويين .

٨ — معسر شيني أى العشر الثانى ويبحث فيما يجب دفعه من الزكاه .

٩ — حله ومعناها العجين ويبحث فى الجزء الذى يجب تخصيصه للكهنه من العجين قبل الخبز .

١٠ — عرله ومعناها عدم الختان ويبحث في ثمار الشجر حيث حرمت التوراة أكل ثمار الاشجار في السنوات الاولى بعد الغرس .

١١ — بيكوريم أي البواكير ويبحث في باكورة الثمار التي يجب ان تقدم للهيكل .

فصول القسم الثاني — الأعياد :

١ — شبات أي السبت ويتضمن الاوامر والنواهي الخاصة بيوم السبت .

٢ — عروبين أي التوصيلات ويبحث تحديد الانتقال من مكان الى مكان يوم السبت .

٣ — بساحيم أي الفصح ويبحث في الاحكام الخاصة بهذا العيد .

٤ — شقاليم ومعناها المثقال من الفضه ويبحث أحكام زكاة نصف المثقال من الفضه الواجبة لكهنة المعبد .

٥ — يوما أي اليوم وهو عيد التطهير وأحكامه .

٦ — سوكه أي المظال ويبحث في عيد المظال والنبات الذى تعمل منه المظال والشعانين .

٧ — بيصه بمعنى البيضه ويبحث في المحلل والمحرم

في الاعـياد .

٨ — روش هشانه اى رأس السنه ويبحث الاحكام الخاصه به .

٩ — تعنيت بمعنى الصيام ويبحث في الصيام ومافـرض على الفرد .

١٠ — مجيله أى درج أو لفيفه وفيه احكام قراءة سـفر استير في عيد البوريم .

١١ — موعد قاطون : اى العيد الصغير ويختـص باحكام الايام التى تقع بين عيد الفصـح وعـيد المظال .

١٢ — حجيجة اى الحج ويبحث في القرابين والتقدمـات التى تقدم للكهنه والهيكل .

فصول القسم الثالث — ناشـيم :

١ — ياموت ومعناها : امرأة الاخ المتوفى التى يجـب على اخيه الحى ان يتزوجها وهو يبحث في مسائـل الزواج الخاصه بالارمله .

٢ — كتوبوت أى كتابات عقود الزواج ويبحث في الـزواج والمهر وخلافه .

٣ — نداريم أى النذور ويبحث في النذور التى تنذرهـا الزوجه والبنت وأحكامها .

٤ — نزيروت أى النساك ويبحث فى احكام من يقومـــون بخدمة المعبد .

٥ — جيطيــن أى الطلاق وفيه ذكر لأحكام الطلاق .

٦ — سوطه اى المرأه الخائنه ويبحث فى الزنا وارتكـاب الفواحش .

٧ — قدوشــين أى عقد الزواج ويبحث فى مراسم الخطبه وكيفية الزواج .

**فصول القسم الرابع — الجنايات :**

١ — بابا قاما أى الباب الاول ويبحث فى الجنايـــات والتعويض عـنها .

٢ — باب مصيعا أى الباب الاوسط ويبحث فى الامانات ؛ البيع والشراء والديون والايجار .

٣ — بابا بتره أى الباب الاخير ويبحث فى الاحكـــام الخاصه بالعقارات والشـفعه والمواريث .

٤ — سنهدريــن اى المحكمه العليا ويبحث فـــى الأحكام والحكام .

٥ — مكــوت أى ضربات ويبحث فى العقوبات البدنيـــه والاحكام الخاصه ببعض الجرائم .

٦ — شبوعوت أى قسم أو يمين ويبحث فى واجبـــات القسم .

٧ — عدیوت أی شهادات ویبحث احكام الشهادة وما یجب فی الشهود .

٨ — عبوده زره أی العباده الاجنبیه ویبحث فی عبادة الاصنام واحكام ذلك .

٩ — آبوت أی الاباء ویسمی أیضا برقی آبوت أی فقرات الآباء ویبحث فی العقائد والسلوك العام .

١٠ — هورایوت أی التعالیم ویبحث فی فتاوی علماء الیهود .

فصول القسم الخامس — المقدسات :

١ — زباحیم أی الذبائح ویبحث فی القرابین من الحیوانات فی المناسبات المختلفه .

٢ — مناحوت أی التقدمات أو المنح ویبحث فی التقدمات والذبائح التی تقدم فی المعبد .

٣ — حلین أی الحلال ویبحث فی المأكولات الحلال وطریقة الذبح .

٤ — بكوروت أی البكر ویبحث فی الاحكام المتعلقة بالموالید البكر للانسان أو الحیوان .

٥ — تموره أی بدل ویبحث فی ذكر الاشیاء التی یمكن إبدالها بأخری فی الذبائح .

٦ — عراكين أى التقديرات ويبحث فى الشرائع الخاصة بفدية من ينذرون لخدمة الدين او يقدمون للمعبد وطريقة التعويض عنهم .

٧ — كريتوت أى القطع ويبحث فى الجرائم التى يحكم على مرتكبيها بالطرد وطريقة التكفير عنها .

٨ — معيله أى التنجيس ويبحث فى القرابين التى يجب تقديمها ممن ارتكب معصيه .

٩ — تاميد أى استمرار ويبحث فى كيفية تقديم التقدمات بصفه دائمه .

١٠ — مدوت أى مقاييس ويبحث فى مقاييس الهيكل وهيئته وكيفية بنائه .

١١ — قينيم أى أوكار الطيور ويبحث فى الضحية التى يقدمها الفقراء للكهنه من الطيور والدواجن .

## فصول القسم السادس — الطهاره :

١ — كليم أى الادوات ويبحث فى احكام الادعيه والأدوات المنزليه والملابس والشرائع الخاصه بطهارتها ونجاستها .

٢ — أوهلوت أى المساكن ويبحث فى احكام طهارتها ونجاستها .

٣ — نجاعيم أى لوث ويبحث فى احكام مرض الجـذام والمصابين به وملابسهم ٠

٤ — بـاره أى بقره ويبحث فى البقره الحمراء الـتى يأخذ النجسون رمادها ليتطهروا به ٠

٥ — طهـروت أى طهاره ويبحث فى النجاسـات البسيطه التى لاتزيد عن يوم واحد وطريقـة التطهير منها ٠

٦ — مقواؤوت أى الآبار ويبحث فى احكام المياه فـى الآبار والمستودعات ٠

٧ — نـده أى الحيض ويبحث فى احكـام النجاسـه بالنسبه للنساء ٠

٨ — مكشيرين ومعناها العمل الدينى لبعض الحبوب والفـواكه والثمار ٠

٩ — زابيم ومعناها النزيف بانواعـه ويبحث فـى النزيف والسيلان ٠

١٠ — طبول يوم أى تعميد النهار ويبحث فى احكـام التوضـؤ ٠

١١ — يدايم أى أيدى ويبحث احكام طهارة اليدين ٠

١٢ — عوقصيم أى قطف الثمار ويبحث فى حكم الثمـار من ناحية وصول النجاسة للثمار ٠

وهناك نصوص متصلة بالمشنا وليست منها ويرجع اليهـا علما الشريعه اليهوديه وهى :

أ ـ التوسفتا ومعناها الزياده او الاضافه وهى عمل تشريعى مكمل للمشنا وتضم ستين فصلا .

ب ـ المخيلتا ومعناها المعيار أو المكيال وتضم تسعة أبواب تعالج فيها أحكاما شرعيـة موجوده فى نص الكتاب المقدس .

جـ ـ السفر ويسمى أيضا توراة الكهنه ويسود ه الجدل ويرد كثيرا فى التلمود .

د ـ سفرى وهو كتاب فقهى يشرح سفر العدد من الاصحاح الخامس وكل سفر التثنيه .

هـ ـ البرايتا ومعناها الكتاب الخارجى .

## التلمـــــود

التلمود يعنى التعليم أو الشرح وهو عبارة عن مجموعة مـن الشرائع والتفاسير والروايات الخاصه ببنى اسرائيل وقد نقلهـا احبار اليهود مشافهة ثم خاف الاحبار من ضـياع هذه التعاليـم فدونوها • ويجمع التلمود كل من المشنا والجماره • وقد عرفنا المشنا بانها هى الاحكام المستنبطه من نصوص التوراه وتضيـف اليها المناقشات والنتائج المختلفه • والجماره تعنى الشـرح أو الاكمال وهى مجموعـة التعاليم والتفاسير التى تتعلق بدراسة المشنا لاستنباط الاحكام الجديده منها ووضعها فى صيغـة جديده • وتسود الجماره اللغه الآراميه الى جانب بعـض العبارات العبريه المقتبسه من العهد القديم •

وقد ظهر تلمودان أحدهما التلمود الغربى وهو الـذى يسمى التلمود الاورشليمى نسبة الى مدينة اورشليم والثانى هـو التلمود البابلى اشارة الى الدراسات الدينيه فى العراق منـذ السبى البابلى أيام بختنصـر وكانت العراق تسمى عند اليهـود فى ذلك الوقت بابل • وقد تناول التلمود البابلى شرح كـل نصوص المشنا ولكن الاورشليمى لم يشرح سوى جزء من المشـنا وعلى ذلك فان اليهود يقدرون التلمود البابلى اكثر من التلمـود الأورشـليمى •

وينقسم التلمود بصفة عـامة الى ستة أقسام يعرف كل منهـا باسم سـيدر وهى :

١ ــ البذور ويشمل قوانين الزراعـه والفلاحه .
٢ ــ الاعياد والمواسم ويشمل قوانين السبت وماشابـــه ذلك .
٣ ــ الاضرار ويشمل العقوبات والنواهى .
٤ ــ النساء ويشمل قواعـد الزواج والطلاق .
٥ ــ المقدسات ويشمل الذبائح ونظام التقدمات .
٦ ــ الطهاره ويشمل الطقوس الدينيه التى تتعلـــق بالطهاره والنجاسه .

ويضم كل سـيدر مجموعـة من الفقرات على النحو التالى :

١ ــ القسم الاولـــ ــ ١١ فقـــره .
٢ ــ القسم الثانـى ١٢ فقـــره .
٣ ــ القسم الثالـث ٧ فقـرات .
٤ ــ القسم الرابـــع ١٠ فقـرات .
٥ ــ القسم الخامس ١١ فقـــره .
٦ ــ القسم السادس ١٢ فقـــره .

ويقدس اليهود التلمود ويعتبروه فى منزلة أعلى مـــــن التوراة .. ويرفع التلمود من شأن اليهود دون غيرهـم من الأمـم

التى يعتبرها التلمود أقل من اليهود ويحتقرهم • ويضم التلمود مجموعة من النصوص الأدبيه والاساطير ذات المغزى نستطيع من خلالها ان نقف على فكر اليهود خلال هذه الفترة ومدى تأثرهم بجيرانهم •

وهناك نصوص أخرى الى جانب التلمود البابلى والأورشليمى ولكنها بقيت خارجه عنه ومنها :

١ — آبوت الربى ناثان وهو يعتبر توسيعا لما جاء فى المشنا وترد فيه حكايات وقصص وامثال كثيره •
٢ — سوفريم ويتضمن الاحكام الشرعيه لكتابة توراة موسى وسفر استير اللذان يوضعان فى كل معبد يهودى •
٣ — ايبيل ربانى أى احكام الحداد ويسميه اليهود " سمحوت" أى الافراح •
٤ — كله اى العروس ويتضمن بعض القوانين الاخلاقية الخاصة بالزواج •
٥ — ديرخ ايرص أى السلوك فى الدنيا وهو يحدد انواع الزواج المحرمه والتعاليم الاخلاقيه والاجتماعيه والدينيه •
٦ — ديرخ ايرص زوطا اى مختصر السلوك فى الدنيا ويضم نصائح وحكم اخلاقيه •
٧ — فرق هشالوم اى الفصل الخاص بالسلام •

## أهم سمات الدين اليهودى

لقد كان اليهود فى البداية بدوا رحلا يخافون شياطين الهواء ويعبدون الصخور والماشيه والضأن وأرواح الكهوف والجبال وظلوا فترة طويله يعبدون العجل والكبش والحمل وكانوا يتخذون من هذا العجل رمزا لالهم وهذا يرجع الى تأثرهم بعبادة العجل عندما كانوا فى مصر كما أنهم عبدوا الافعى ومنها الافعى النحاسية التى صنعها موسى والتى عبدها اليهود فى الهيكل حتى أيام حزقيا (٧٢٠ ق٠م) (١) .

وكانوا يعتبرون الافعى رمزا للذكاء والحكمة كما أنها رمز للذكوره المخصبه وظل اليهود يعبدون آلهه كثيره بدائية وكانوا كذلك يعبدون أصناما صغيرة متنقله يتخذونها آلهة لبيوتهم (٢)، وظلت المعتقدات السحرية التى كانت منتشره فى العبادات القديمة باقية عند اليهود الى عهود متأخره ٠ وكانوا يستطلعون الغيب برمى النرد (الأوريم والتميم) من صندوق (افور) وهى طريقه لاتزال تستخدم لمعرفة مايريده الآلهه ٠

---

(١) عدد ٢١/٨ — ٩ وملوك ثان ١٨/٤ ٠

(2) Reinach History of Religions ( 1930) P.176.

وعـند ما فتح اليهود كنعان اخذوا من الكنعانيين الالـه ياه أو ياهو الذى كان موجودا عند هم وصاغوه فى الصوره التى كانوا عليها وجعلوا منه الها قوميا واحدا صارما ، له نزعه حربيـــه ٠ وقد وصفه اليهود فى كتبهم بصفات مختلفه حيث يقول موسى عنـه انه رجل حرب ( خروج ٣/١٥ ) ؛ ويردد داود ذلك فيقول : الذى يعلم يدى القتال ( صموئيل ثان ٣٥/٢٢ ) وهو الـــه جبار يفكر فى اهلاك اليهود بسبب عبادتهم العجل ولكن موســى يستعطفه ويقول : ارجع عن حمو غـضبك واندم على الشـــر بشعبك — فندم الرب على الشر الذى قال انه سيفعله بشعبـه ( خروج ١١/٣٢ — ١٢ ) وهو يأكل ويشرب وينام ويمشى مثـل البشر ٠

ولم يكن يهوه هو الاله الوحيد الذى يعترف اليهـــود بوجوده ، بل كان للموآبيين الههم شمش ، وكان بلزبـوب الـــه عكرون وملكـوم اله عمون وكان اليهود يعبدون تموز ايضا لدرجـة ان النبى حزقيال قال ان البكاء حزنا على تموز كان يسمـع فـــى الهيكل ( حزقيال ١٤/٨ ) كما كانوا فى ايام ارميا يعبدون بعـل ومولك ( ارميا ٢٨/٢ ؛ ٣٥/٣٢ ) ٠ وفى أيام الوحـــدة السياسية التى قامت ايام داود وسليمان اصبح يهوه هو الـــه اليهود الاوحد ثم الـح الانبياء اليهود على ذلك فيما بعـد ٠ وكان تابوت العهد الذى يحتوى على التعاليم والشرائع رمــزا

لطبيعة العقائد اليهودية ولم يكن مسموحا لأحد بان يمس تابوت العهد . ولما مد عزه الصالح يديه الى التابوت ليمنعه ان يسقط على الأرض وامسكه لحظه قصيره حمى غضب الرب على عزه وضربه الرب هناك لأنه مد يده الى التابوت فمات هناك امام الرب ( صموئيل ثان ٦/٧ ؛ أخبار الايام الاول ١٣/١٠ ) .

وكان اليهود يحاولون ان يتقوا شر غضب الرب بالصلاة والتضحيه وقد بدأت التضحيه عند الساميين والآريين بالضحايا البشريه ثم حل الحيوان محل الانسان فكانوا يضحون بباكورة القطعان وباكورة الثمار وانتهى الامر اخيرا بالاكتفاء بالتسبيح والثناء على الله . وكانت عملية الختان من اعمال التضحية . وكان الحيض والولاده يدنسان المرأه ويتطلبان تطهيرا ذا مراسم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد الكهنه . وكان الكهنه هم الذين يقربون القرابين ويفسرون الاسرار الدينيه وكان الكهنه من ابناء لاوى وكانوا لايدفعون ضرائب ويأخذون العشور على نتاج الضأن ويستفيدون من القرابين التى تقدم فى الهيكل الى الآلهه . وقد طغت سلطة الكهنه فى بعض الفترات على سلطة الملوك . وكانت الصلاة عند اليهود اما فردية أو جماعية . والفرديه هى صلوات ارتجاليه من افراد تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصيه ولاعلاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم ومنها صلاة ابراهيم من اجل خلاص سدوم أو من اجل شفاء

ابيمالك ( تكوين ١٨/٢٣ ـ ٣٣ ) وصلاة موسى من اجـــل بنى اسرائيل ( خروج ٢٢/٣١ ـ ٣٢ ) وصلاة يعقوب من أجـل خلاصه من عيسو أخيه ( تكوين ٣٢/٩ ـ ١٢ ) وكذلـــك صلوات صموئيل وايليا واليشع وداود ويونان ودانيال وعـــزرا وهذا النوع من الصلاه يتلى فى أى مكان والصلاة المشتركة هـــى صلوات يشترك فيها مجموعه من الاشخاص وتؤدى علنا فى اماكـن مخصصه ومواعيد معروفه حسب طقوس وقوانين محدده من رؤســاء الدين والكهنه ٠

وبعد تأسيس أماكن العباده كخيمة الاجتماع والهيكـــل وضعت الصلوات الطقسيه وأول صلاة طقسيه كانت عند تقديم باكورة الأثمار وبعد اداء الاعشار [1] وعند تقدمه الذبائح كفارة عـــن الخطايا [2] ، وتعتبر بركة هارون وأولاده المثلثه نوع من الصلاة الطقسيه ( عدد ٦٥/٢٢ ـ ٢٧ ) ٠

وفى عهد الانبياء وضعت صلوات قانونيه كما يتضح من اشعيا [3] ويستدل على أقواتها من دانيال الذى كان يصلى ويركع ويشــكر

---

(١) تثنيه ٢٦/٥ ـ ١٠ ، ١٣ ـ ١٥ ٠

(٢) لاويين ١٦/٢١ ٠

(٣) اشعيا ١/١٥ ؛ ٢٩/١٣ ؛ ٥٨/٥ ٠

الرب ثلاث مرات كل يوم [١] وكذلك من المزمور ٥٥/١٧ . وأحيانا مرتين كل يوم كما يشير اخبار الايام الاول ٢٣/٢٠ . وكانت الصلاة عباره عن فقرات من النثر ثم النظم وتتلى بالغناء في البدايه وكانت تستخدم آلات موسيقيه قانونيه . وكانوا يتجهون في صلاتهم الى أورشليم وفي أورشليم يتجهون الى الهيكل [٢] .

**وأهم اعياد اليهود :**

١ — السبت وهو العيد الاسبوعي عندهم ومدته من غروب شمس يوم الجمعه حتى غروب شمس يوم السبت ويحرم فيه عمل أي شيء كما جاء ذلك بصراحة في الوصايا العشر .

٢ — بداية الشهر القمري ومدة الاحتفال به يوم واحد أو يومين ويسمى عيد الهلال " روش حودش " وله طقوس وصلوات خاصه به تؤدى عند رؤية الهلال كل شهر .

٣ — يوم الغفران او يوم الكفاره وهو اليوم العاشر من شهر تشرى ويبدأ قبل غروب شمس يوم التاسع من

---

(١) دانيال ٦/١٠ .
(٢) ملوك أول ٨/١٣ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٨ .

تشرى ويستمر الى مابعد غروب شمس اليوم الثانى ويجب الصيام فيه ليلا ونهارا وعدم عمل شئ سوى العباده واسمه العبرى يوم كبور .

٤ — عيد المظال واسمه بالعبريه سكوت ويبدأ فى اليوم الخامس عشر من شهر تشرى ويكون الاحتفال به منذ غروب شمس اليوم الرابع عشر وتكون هذه ليلة العيد ومدته التقليديه تسعة أيام منها سبعة أيام هى عيد المظال واليومان الآخران وهما الثانى والعشرون والثالث والعشرون من تشرى يسمى الاول منهما الثامن الختامى لانه يختم عيد المظال واليوم الثانى يفتتح دوره طويله من قراءة التوراه ولذلك يسمى عيد فرحة التوراه " سمحات توراة " .. والأصل فى عيد المظال انه عيد زراعى كان يحتفل فيه بتخزين المحصولات للزراعه للسنه كلها فى فصل الخريف . ويسمى بالعبريه ايضا حج ها أسيف أى عيد التخزين .

٥ — رأس السنه العبريه ويسميه العبريون روش هشاناه وتستمر طقوسه ثلاثة ايام منها اليوم الاول والثانى من تشرى ( اوائل اكتوبر ) ويستمر الاحتفال فى اليوم الثالث ولكن اليوم الرابع فهو

يوم صيام يسمى صوم جدليا وهو يوم حزن وحـــداد على قتل جدليا بن احيقام الذى ولاه بختنصـــر ملك بابل على البقيه الباقيه من اليهود فى فلسطين بعد الاستيلاء عليها •

٦ — الحانوكه أو عيد التدشين وهو فى الخامس والعشرين من شـــهر كسلو والطابع المميز لهذا العيد هـــو اشعال الشموع الكثيره والانوار لمدة اســـبوع • ومناسبة العيد ان متاتيــا الكاهن الاكبر وابنـــه يهوذا المكابـــى تمكنا عام ١٦٥ ق٠م من تطهيـــر المعبد من التماثيل اليونانيه التى كانت قد وضعت هناك فى فترة الحكم اليونانى — وأعيد فتحـــه للشعائر اليهوديه •

٧ — عيد الحصاد أو عيد الأسابيع ويسمى بالعبريـــه شبوعوت ومدة العيد يومان أى السادس والسابـــع من شهر سيوان • ويقول اليهود ان الوصايـــا العشر نزلت على موسى فى هذا التاريخ •

٨ — عيد البوريم ويسميه العرب عيد المسخره ويبدأ مـــن ليلة الثالث عشر من شهر آذار ويكون يوم ١٣ آذار صوما ويسمى " صيام استير " ويسمى يوم الخامـــس

عشر من آذار يوم الكرنفال ويسمى يوم يوريسم شوشان نسبة الى مدينة شوشان ٠

٩ — عيد الفصح ويبدأ فى الخامس عشر من شهر نيسان وهو عيد الربيع عند اليهود ، وفيه تمت عملية خروج بنى اسرائيل من مصر ، وهو يعتبر عيد الضحيه كما انه عيد خبز الفطير وموسم الحج ٠ ويضحى فيه بحمل أو شاه أو جدى من الماعز ٠

١٠ — الثالث والثلاثون فى العومر ويقع فى الثامن عشر من أيار ٠

١١ — صيام التاسع من آب وهو ذكرى سقوط أورشليم فى يد تيتوس وتخريب الهيكل الثانى ٠

١٢ — صوم تموز وهو يوم واحد يصومه اليهود فى الثامن عشر من تموز ٠

وقد تأثر الفن الاسرائيلى بالفن الكنعانى تأثرا عظيما ٠ وقد رأينا كيف ان معبد سليمان وهيكل اليهود بناه مهندسون من مدينة صور فجاء تقليدا للمعبد الكنعانى كما كانت زخارفه متأثره بالفن الكنعانى كما كان القصر متأثرا فى هندسته وفى زخرفته بالنماذج الكنعانيه المعاصره ٠٠ وكانت طقوس المعبد فى حاجة

الى الموسيقى وعلى ذلك نجد ان المغنيين والموسيقيين كلهم من أهل كنعان وحينما وضع داود وسليمان أصول الموسيقى الاسرائيلية الدينيه قلدوا النماذج الكنعانيه • وكان من أهم الالات الموسيقيه عند اليهود الدف والات النفخ مثل البوق والأرغول والمزمار والقيثاره • وقد تطور الغناء كما تطورت الموسيقى • وكانت صناعة النسيج من أهم الحرف المنزلية عند العبريين وقد تأثرت هذه الصناعه بما وصل اليه الكنعانيون من رقى فى فن النسيج والصباغه ولذلك كانت أزياء الملوك والكهنه والاشراف من نسيج كنعانى متأثر بالزخارف الكنعانيه •

وتعلم العبريون صناعة الاسلحه وصناعة الحديد وطرقه والنحاس وصياغة الذهب والاحجار الكريمه كما تعلموا فن بناء الطواحين وصناعة الافران وعصير الزيت والعنب وصناعة الخمر وقد ظهرت صورة الشجره فى فن النقش والنحت والتصوير • واستخدم العبريون المصباح الكنعانى الذى يضاء بزيت الزيتون •

## الفصــل الثانــى
## الأدب العبـــرى

ليس العهد القديم شريعه فحسب بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفه من الطراز الاول ويضم هذا العهد القديم طائفة من أجمل الكتابات وعلى سبيل المثال قصة داود وشاؤل وسليمان التى تفوق فى جمال مبناها وأسلوبها غيرها من الكتابات التاريخية فى الشرق الادنى القديم . والقصص الغراميه الساحرة الوارده فى التوراه وسط بيــن التاريخ والشعر . وبالنســبة للنثر نجد قصة راعـوت بجمال أسلوبها وفكرها وقصة اسحق ورفقـــه ، يعقوب وراحيل ، يوسف وبنيامـين ، شمشون ودليله واستـير ويهوديت ودانيال .

ويبدأ الأدب الشعرى بنشيد موسى ( سفر الخـــروج الاصحاح الخامس عشر ) ونشيد دبوره ( القضاء الاصحـــاح الخامس عشر ) ويبلغ ذروته فى المزامير . ويوجد من المزاميـــر مايفيض رحمه وحنانا ومايعد مثلا فى الخضوع والتذلل ( المزموران ٢٩ ، ١٠٣ ) . وتفيض هذه الأناشيد بأوزان الشـــعـــر الشرقى القديم ونكاد نسمع فيها أصوات المرنمين وهم يردون على المنشدين .. وليس فى الشعر كله مايفوقه فى تشبيهاته وتصويـره وليس ثمة مايضارعـه فى قوة تعبيراته ووضوحها .

ونقدم من شعر الحكمه بعض الفقرات

باطل الاباطيل : قال الجامعه
باطل الاباطيل الكل باطل
مافائدة الانسان من كل تعبه
الذى يتعبه تحت الشمس
جيل يدبر وجيل يقبل
والارض باقية الى الابد(1)

ويقول فى موضع آخر :

وقت للولادة ووقت للموت
وقت للزرع ووقت للقلع
وقت للقتل ووقت للشفاء
وقت للهدم ووقت للبناء
وقت للنوح ووقت للرقص
وقت لرمى الاحجار ووقت لجمع الاحجار
وقت للعناق ووقت للبعد عن العناق(2)

---

(1) الجامعه ١/١ — ٦ .
(2) الجامعه ٣/١ — ٩ .

ومن أقوال الحكمه :

ملعون الرجل الذى يتكل على الانسان ويجعل البشـــــر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يــــرى اذا جاء الخير بل يسكن الحره فى البريه أرضا سبخه وغير مسكونـه ٠

مبارك ذلك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكلـه فانه يكون كشجره مغروسه على مياه وعلى نهر تمتد أصولهـــــــا ولاتخشى اذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفى سنة القحــــــط لاتخاف ولاتكف عن الاثمار [1] ٠

ومن أقوال الغـزل :

قبلنى بقبلات فمك لأن حبك أطيب من الخمر
لعطورك الطيبه رائحه كالزيت الطيب اسمك
لذلك أحبتك العذارى ؛ اجذبنى خلفك لنجرى [2]

وكذلك فى موضع آخر

حبيبى بين البنين كشجرة تفاح فى الغابه
اشتهيت ان أجلس جواره وثمرتى حلوه لحلقى

---

(١) ارميا ١٧ /٥ — ٨ ٠
(٢) نشيد الانشاد ١ /٢ — ٥ ٠

ادخلني الى الحانه وعلمه محبتي
اسندوني بأقراص الزبيب
انعشوني بالتفاح انى مريضه جدا
شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني
أحلفكن يابنات أورشليم بايائل الحقول
الا توقظن ولاتنبهـن الحبيب حتى يشاء [(١)]

ومن أقوال الرثاء مايزخر بالالفاظ التي تعبر عن الحـزن والأنين منها ماجاء في سـفر ارميا :

هكذا قال رب الجنود تأملوا وادعوا النادبات
فيأتين وأرسلوا الحكيمات فيقبلن
ويسرعن ويرفعن علينا مرثاه
فتذرف عيوننا دموعا وتفيض أجفاننا ماء
لأن صوت رثايه سمع من صهيون كيف أهلكنا
خزينا جدا لأننا تركنا الأرض
لأنهم هدموا مساكننا
بل اسمعن ايتها النساء كلمة الرب
ولتقبل اذانكن كلمة فمه

---

(١) نشيد الانشاد ٢/٣ ـ ٧ .

وعلمن بناتكن الرثايـه
والمرأه صاحبتها النـدب[١]

وهكذا نجد ان العهد القديم عباره عن موسوعه مـــن الشعر والنثر فيها الحكمه والأمثال ، القصص والأســاطير ، الفلسفه والتشريع .. ويشمل أدب العامه والخاصه وفيه الغـزل والرثاء والمديح والهجاء . كما نجد فى الادب نثرا عبريا غـنيـا بالالفاظ والدلالات كما نجد فى قصة الخلق أو الطوفان أو برج بابل وقصة ميلاد موسى وقصة روث واستير ويونس .

---

(١) ارميا ١٧/٩ — ٢٠ .

# الباب الرابع
## الآراميون

الآراميون هم ثالث فرع فى مجموعة الأمم السامية . وكان أول ذكر لهم فى نصوص اسفينيه ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتذكر هذه النصوص أنهم كانوا منتشرين فى الصحراء الواقعة غربى مابين النهرين وانهم كانوا أول الامر قبائل رحل ينتقلون فى الباديه بين نجد فى الجنوب وحدود الشام فى الشمال ونهر الفرات فى الشرق وخليج العقبه فى الغرب وكانت ظروف الصحراء تضطرهم ان يلجأوا ـ الحضر فى بعض الاحيان فيد خلوه مغيرين وقد استطاعوا فى احدى اغاراتهم ان يكونوا اماره بين بابل والخليج الفارسى عرفت باسم كلد ومنها اشتق اسم الكلدانيين . ودخل الاراميون بعد سقوط دولة الميتنى حوالى ١٣٠٠ ق.م مابين النهرين وعرفوا باسم ارام النهرين . وترجع هجرة قبيلة ابراهيم الخليل — عليه السلام — من أور الى حران — الى واحدة من هذه الهجرات .

كما توغل الاراميون على الشام واستغلوا الصراع الذى كان قائما بين الدويلات الكنعانيه وتمكنوا من الوصول الى شمال الشام وكونوا دويلات آراميه صغيره بين حلب وجبال طوروس ومنها امارة سمأل بين انطاكيه ومرعش ومكانها الآن بلدة

زنجرلى .. واستولى الاراميون على دمشق فى اواخر القرن العاشر قبل الميلاد وأسسوا فيها مملكة كان لها دور كبير فى ذلك الوقت وبصفة خاصة فى محاربة الفينيقيين والاسرائيليين والتغلب عليهم كما لعبت دورا هاما فى شئون التجاره . وكان البدو من أهلها ينقلون التجاره بين المراكز المختلفه مثل دمشق وحماة وحلب الى بلاد نهر الفرات وكانت تدمر مركزا من هذه المراكز . ووصل هؤلاء البدو الى واحات بلاد العرب الشماليه وتركوا بعض النقوش فى تيماء .

وعند ما استولى البابليون على دمشق فى القرن الثامن قبل الميلاد نقلوا الى بلادهم عددا كبيرا من مهرة الآراميين واستقر الاراميون فى بابل ونشروا لغتهم حتى تغلبت على اللغة البابلية والاشوريه وتخلد النقوش الاسفينيه التى ترجع الى عهد سرجون الاكدى عددا من الاسماء الاراميه كان اصحابها يحترفون التجاره فى مملكة اشور .. وبعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م أصبحت بلاد اشور اراميه وكان من الشائع فى بابل ان تكتب العقود باللغتين البابليه والاراميه . وعند ما استولى الفرس على بلدان الشرق فى نهاية القرن السادس قبل الميلاد وسقطت فى أيديهم بابل عام ٥٣٨ ق.م كانت اللغة الاراميه هى الشائعة فى الشرق كله حتى بين الحكام الفرس واستعملوها لغة للتفاهم بين اجزاء الامبراطوريه وأصبحت لغة المكاتبات الرسميه .

وقد وقعت مدينة البتراء عاصمة بلاد البنط تحت تأثير الاراميين • وأثناء النزاع بين الفرس والروم كانت بلاد الاراميين مسرحا له ووقعت بلاد الاراميين حينا فى أيدى الفرس وحينا فى أيدى الروم وخربت الحرب بلادهم وتأثروا بحضارة الفرس والروم وثقافتهم وورثوا الحضارات الاشوريه والبابليه والفينيقيه والفارسيه واليونانيه واضافوا عليها نوعا من التطور وكانت لغتهم الاراميه تفرض نفسها على سائر اللغات وكانت قوتها تكمن فى بساطة ابجديتها وسهولة نحوها وصرفها •

وفى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى عندما تم التوصل الى حل رموز الخط المسمارى ودرست اللغات الاشوريه والبابلية والعبريه والاراميه والعربيه والحبشيه دراسه مقارنه تبين انه يوجد بين هذه اللغات أوجه شبه ظاهره وان الصله بينهما جوهريه حقيقيه • فجذر الافعال فى كل هذه اللغات ثلاثى وللزمن صيغتان هما الماضى والمضارع وتصريف الافعال متشابه وأصول المفردات والاسماء الداله على القرابه والاعداد واعضاء الجسم تتشابه الى حد بعيد بل ثبت ان الانظمه الاجتماعيه والعقائد الدينيه عند الشعوب المتكلمه بهذه اللغات تكاد ان تكون واحده •

وعلى ذلك نستطيع القول على ضوء هذه الحقائق ان هذه الشعوب البابليه والاشوريه والكلدانيه والعموريه والاراميه

والفينيقيه والعبريه والعربيه والحبشيه من أصل واحد وكان اجدادهم شعبا واحدا وانحدروا جميعا من وطن واحد ٠

وقد توقفت الهجرات الآراميه فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد واستقروا فى أوطانهم الجديده ، وطابت لهم الحياة فيها فى نفس الوقت تقريبا الذى استقر فيه العبريون بنو عومتهم فى فلسطين ٠ وقد شهد هذا العصر ظهور الامارات الاراميه لاول مره ٠ وقامت الاماره الاولى عند منحنى نهر الفرات فى المنطقه التى تقع بين اقليم الجزيره وبين سوريا الحاليه وامتدت رقعتها حتى نهر الخابور الذى يتفرع من الفرات ويتجه الى الشمال ولذلك سميت ارام نهرايم أى ارام النهرين ٠ وقد ذكرت فى الوثائق المصريه القديمه باسم " نهرين " ٠ كما سجلتها الوثائق الاشوريه المسماريه المعاصره ثم اختفت نهائيا قبل نهاية القرن التاسع قبل الميلاد حينما امتد نفوذ الاشوريين وبدأوا يتطلعون الى اقليم الجزيره وبلاد الشام ٠

ومن الامارات الاراميه التى لعبت دورا كبيرا فى التراث القديم اماره أخرى تقع فى السهول المنبسطه بين الجزيره والشام وهى امارة آرام بدان وسميت بهذا الاسم لوقوعها فى سهل منبسط لان كلمة بدان هى بالاراميه كلمة فدان العربيه ومعناها الحقل المنبسط ٠ وكانت مدينة حران مقر هذه الاماره تقع على الطرق التجاريه الهامه التى تصل اقليم الشام باقليم

الجزيره ؛ ويربط بين شمال الشام وبلاد العرب فلعبت دورا فـي تجارة العالم القديم فاشتد ثراء أهلها وتألقت مدينة حران فـي عهدهم حتى غدت من أزهر مراكز الثقافه الآراميه .

وتلعب امارة حران مكانه ممتازه في التراث العبري فقد كثر ذكرها في كتاب العهد القديم وراح كتاب التاريخ العبري يذكرون ان أجدادهم كانوا من الاراميين وأنهم عاشوا في مدينة حران زمنا طويلا قبل ان يستقروا في فلسطين ويذكرون أيضا كما سبق ان قلنا ان ابراهيم أقام في هذه المدينه الآراميه بعد خروجه من العراق وزوج ولده اسحق فتاة من حران .

وكتاب العهد القديم نفسه حافل بالمفردات الآراميه مما حمل بعض الباحثين على القول بأن العبرانيين كانوا يتكلمون لهجة آراميه قبل أن يستقروا في فلسطين ويتخذوا لهجة أهلها من الكنعانيين -- وكانت أهم هذه الامارات الآراميه وأقواها امارة مشق[1] التي نمت واشتدت شوكتها في القرن الحادي عشر فكان قيامها معاصرا لقيام العبرانيين

(١) هي مدينة دمشق وتعني بالآراميه دار مشق أو حصن مشق وقد ورد هذا الاسم الآرامي لمدينة دمشق في وثائق مصريه ترجع الى عصر رمسيس الثالث ( ١١٩٨ — ١١٦٧ ق٠م ) ٠

وسرعان ما اشتدت قوتها واكتمل نموها وبدأت تبسط من رقعتها على حساب الامارات المجاوره حتى امتدت حدودها من الفرات شرقا الى وادى اليرموك جنوبا . وقد تألق نجمها فى السياسه الدوليه المعاصره ووقفت من العبرانيين والاشوريين موقف الند للند بل بدأت تغير على أملاك الاشوريين فى الشمال واملاك العبريين فى الجنوب .. وفى عام ١٠٠٠ ق.م بسطت سيادتها على اقليم سوريا الداخليه الواقعه خلف جبال لبنان كما بسطت سيادتها على منطقة سوريا الشماليه وظلت قرنين من الزمان تناضل العبرانيين وتحاربهم وتوقف من تقدمهم صوب الشمال كما ورد ذكرها كثيرا فى كتاب العهد القديم .

وكان بروز هذه الاماره فى المحيط الدولى القديم سببا فى اصطدامها بقوتين عظيمتين قوة الاشوريين من الشرق ومملكة العبرانيين من الجنوب . وقد بدأت طلائع النزاع بين امارة دمشق وبين المملكه العبرانيه الناشئه فى عهد الملك شاؤول بسبب خامات النحاس ولكن ملك ارام ( حداد عزر ) وقف لشاؤول ورد الاسرائيليين . الا أن نمو المملكه العبرانيه فى عهد داود قلب الكفه الى جانب بنى اسرائيل فقد هاجم امارة دمشق وهزم ملكها واحتلت مدينة دمشق فى بعض الوقت وتقلص ملكهم عن ذى قبل .

ثم انقسمت المملكه العبرانيه على نفسها بعد وفاة سليمان

الحكيم عام ٩٢٢ ق.م واسترد الاراميون قوتهم واتخذوا مدينة دمشق عاصمة لهم واستغلوا التنافس بين مملكة اسرائيل ويهوذا في استعادة قوتهم وبسط نفوذهم وكان ملكا الدولتين العبرانيتين يتنافسان في التقرب من بلاط دمشق . فقد أهدى ملك يهوذا أمير دمشق ابن حداد الارامي كثيرا من كنوز معبد اليهود في اورشليم وبدأ الاراميون بعد ان ضمنوا صداقة يهوذا يكيدون لمملكة اسرائيل فانتزع ابن حداد جلعاد والاردن من اسرائيل التي أصبحت اماره تدين بالتبعيه لملك دمشق وظلت تدفع الجزيه حتى ٨٧٥ ق.م حينما لاح في أفق السياسة في الشرق الادنى نجم آشور .

ونمت قوة الاماره الاراميه ووصلت الى أوجها عام ٨٥٣ ق.م حينما وقف ملكها ابن حداد في وجه القوه الاشوريه المتدفقه من اقليم الجزيره فقد كون بزعامته حلفا عظيما ضم اثنى عشر اميرا وبلغت القوات التي حشدت تحت امرته ١٢٠٠ عجله حربيه و ١٢٠٠ خيال وعشرين الفا من المشاه .. وقد اشترك اليهود في هذا الحلف كما اشترك فيه ملك حماه واسهمت المدن الفينيقيه في رد هذا الخطر واحتشد عند مدينة توفسر على نهر العاصي ستون الفا . واستطاع هؤلاء الحلفاء ان يهزموا شلمنصر ملك اشور هزيمه ساحقه فوقف تقدم الاشوريين واعترف المتحالفون بفضل دولة دمشق الاراميه فدانوا لها بالزعامه في عهد أميرها

حزائيل (٨٠٥ ق٠م) الذى تألق اسمه فى هذا العصر وصورته الاساطير الاراميه بطلا عظيما بل جعلته فى مقدمة ابطال التاريخ الارامى ٠ فقد رد غارات الاشوريين عام ٨٣٨ و ٨٤٢ وأخذ يبسط رقعة ملكه فغزا ارض اسرائيل ومد ملكه فى الارد ن جنوبا حتى نهر المجيب الذى يصب فى البحر الميت وبلغ من ضعف ملك اسرائيل وتخاذ له انه دفع الجزيه بل جرده ملك الآراميين ولم يترك له الا خمسين خيالا وعشرة عجلات حربيه ٠

وبدأ حزائيل يغزو السهل الساحلى ود خل اورشليم واستولى على كنوز معبدها ولم يحد من نشاطه أو يوقف تحقيق مشروعه هذا الا ظهور الاشوريين من جديد بعد وفاة حزائيل ٠ وقد شغل خلفاؤه بغارات الاشوريين المتصله المتلاحقه فبدأت الاقاليم التى دانت لهم بالطاعه تخرج من دائرة نفوذهم واحدة بعد الاخرى فقد استعادت اسرائيل املاكها عام ٧٨٥ وبدأت تغير على دمشق وحماه ٠ واستنجد ملك يهوذا بالاشوريين عام ٧٣٤ ق٠م وخرجت قوات الاشوريين واجتاحت اقليم الجزيرة وتدفقت الى شمال الشام فاستولت على دمشق وفر ملك الاراميين وسقطت عاصمتهم عام ٧٣٢ فى يد العدو وبذلك انتهت دولة الاراميين ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ٠

## الفصل الأول : أهم ملامح الحضـــاره الآراميـه

كان للموقع الجغرافى للوطن الآرامى فى دوره فى تاريـــخ حضارة الشرق القديم وذلك لان الامارات الاراميه بصفه عامــــه وامارة دمشق بصفة خاصة تقع بين بيئتين من بيئات الحضـــاره الراقيه فى عالم الشرق القديم : بين حضارات فلسطين الفينيقيـه والعبرانيه وبين حضارات الاشوريين والبابليين فى العـــراق والجزيره • وقد ترتبت على هذا الموقع نتائج بعيدة الأثر فـى تاريخ الشرق الادنى فقد ترتب على وقوع دمشق بين سوقـــين عظيمتين من أهم أسواق الاستهلاك فى الزمن القديم ان اصبحـت مركزا للقوافل الصادره والوارده التى تحمل بضاعـة البحر الأبيض المتوسط فى طريقها الى أسواق الشرق الاوسط فأصبحت دمشـق بحق ميناء الصحراء المتحكمه فى التجاره الداخليه كما أصبحـــت صور وصيدا اعظم موانى البحر المتحكمه فى التجاره البحريه •

وقد ساهمت دمشق بحكم هذا الموقع فى التجاره العالميـه واشتغل الآراميون وسطاء فى تصريف منتجات العالم القديم فكانـت ترد الى أسواقهم السلع الفينيقيه مثل الصبغة والمنسوجـــات والخزف والمصنوعات المعدنيه والفاكهه والكروم فيقومون بنقلها الـى اسواق الشرق ومبادلتها بسلع أخرى وكانوا يجنون من ذلـــك أرباحا طائله فزاد غنى دمشق وعظم ثراؤها • ولعل هذا هــو

السر فى قوة دمشق وعلو شأنها فى عهد ملكها ابن حداد وولده حزائيل . وأصبح الآراميون من أمهر التجار ومن أغناهم فى القرنين التاسع والثامن ق.م وقد عوضوا نفوذهم فى عالم المال والتجاره بنفوذهم السياسى فجابت قوافلهم أسواق العالم القديم ويدل على ذلك الاوزان الاراميه التى عثر عليها المنقبون فى اطلال نينوى بل أوغلت قوافلهم حتى بلغت الخليج الفارسى واتجرت فى الكنوز والاحجار الكريمه وبرعت فى هذه التجاره الرابحه .

وقد ترتب على هذه الحقائق ليس مجرد نتائج اقتصادية تتمثل فى الغنى الواسع والثراء العريض بل هناك نتائج ثقافيه بعيدة الاثر فقد عمل التجار الاراميون الذين انتشروا فى أسواق العالم القديم على نشر اللغة الاراميه فى نطاق لم تنتشر فيه لغة ساميه أخرى فى الازمنه القديمه فاصبحت لغة التخاطب فى بلاد الجزيره والعراق لان الولايات الاراميه اصبحت بعد ان فتحها الاشوريون جزءا من الامبراطوريه الاشوريه ويدل على ذلك ظهور كاتب ارامى فى بلاط تجهلات بلاسر لاول مره عام ٧٣١ ق.م يسجل الغنائم التى استولى عليها الاشوريون . ولم يعد هذا الكاتب يستعمل لوح الصلصال والمسمار انما أصبح يستعمل القلم ويستعمل ملفات البردى ويكتب باللغة الآرامية . وفى عام ٥٠٠ ق.م أصبحت اللغه الاراميه لغة المال والتجارة فى بلاد الشام وفلسطين وتغلبت على اللغه العبريه وأصبحت لغة

عيسى عليه السلام وشيعته وكانت أول اشاره للمسيحيه وردت فــى نقوش آراميه كتبت حروف لاتينيه على جدران كنيسه بومبى يرجع الى ماقبل سنة ٧٩ ميلاديه ٠ وأقدم الأناشيد المسيحيــــه أنشوده آراميه تسمى انشودة قديش ٠

وكما انتشرت اللغه الآراميه وأصبحت لغة التخاطــــب والحديث فى بلاد الشام كلها انتشرت فى منطقة الهلال الخصيب وفى بلاد العراق والجزيره وتخطى هذا الانتشار المنطقه السامية الى ايران وأصبحت اللغة الرسميه للولايات الفارسيه كلها فى عهد دارا الاكبر (٥٢١ — ٤٨٦) وأصبحت هذه اللغه الدوليــه الوحيده فى بلاد الشرق القديم قبل ان يفتحه الاسكندر وامتــد نفوذها فى منطقة شاسعة ممتده من بلاد الهند شرقا الى اثيوبيا جنوبا ٠ ولم ينشر الآراميون المهره فى الشئون التجاريه لغتهــم فحسب بل نشروا الابجديه التى نقلوها عن الفينيقيين وعلموهــا لعالم الشرق القديم كله ٠ تعلمها العبرانيون من الاراميين مباشرة فى فترة تقع بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد واقتبسوا منهم هذه الحروف المستديره التى لاتزال الاناجيــل المسيحيه تكتب بها حتى اليوم ٠

وانتشرت الابجديه الفينيقيه الاراميه فى بلاد الفــــرس كما انتشرت فى بلاد العراق والجزيره وبدأ الفرس يعدلون عــن استعمال النقوش المساريه البابليه ويستخدمون الحروف الاراميه

فى كتابة وثائقهم الرسميه وأصبحت اللغة الآراميه وابجديتها شائعه فى اسواق بابل وفى مراكز التجاره الاخرى وأصبحت الصكوك والاوراق الرسميه تكتب بالقلم الآرامى على أوراق البردى وبدأت اللغه الفارسيه نفسها تكتب بالخط الآرامى وبطل استخدام الخط المسمارى والوثائق الحجريه القديمه .

وقد نقل الاراميون خطهم الى الارمن والى الهنود وبدأت اللغه السنسكريتيه تكتب بالحروف الاراميه بل وحمل الكهنه البوذيون الابجديه السنسكريتيه المستمده من الابجدية الاراميه فى بلاد الصين وكوريا وبذلك نشر الاراميون الابجديه الفينيقيه فى الشرق حتى بلغت حدود الصين كما نشر الاغريق هذه الابجديه غربا فشملت العالم كله . وقد نفذت الكتابه الآراميه الى بلاد العرب نفسها وأصبحت لغتنا العربيه اليوم تكتب بخط من أصل آرامى ذلك ان الانباط وهم طائفة من البدو الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب وأغاروا على ديار الآراميين واحتكوا بهم نقلوا الكتابه الآراميه وبدأوا يسجلون لهجتهم العربيه بالابجديه الآراميه . وتطور هذا الخط الآرامى الذى نقله الانباط الى كتابه خاصة تعرف بالكتابه النبطيه وهى نفس الكتابه التى نقلها العرب وسجلوا بها لغتهم . ثم أخذت الكتابه النبطيه تبتعد عن الاصل الارامى حتى تميزت عنه وصارت تعرف باسم الكتابه النبطيه . وتطور الخط النبطى وأصبح

فى القرن الثالث الميلادى الخط المألوف فى لغة عرب الشمال .

وقد عثر على نقش بالكتابه الآراميه فى شمال سوريا يرجع تاريخه الى بداية القرن التاسع قبل الميلاد كما عثر على نقش آخر للملك ابن حداد ملك دمشق على مقربة من مدرسة حلب وتاريخه ٨٢٥ ق٠م . كما وجدت نقوش آراميه أخرى فى مدينة شمعل من مدن سوريا الآراميه كما عثر على آثار أخرى و أوزان وأختام تحمل نقوشا آراميه . وقد عثر على ملفات من البردى كتبت باللغه الآراميه كتبها يهود مصر وقد وجدت فى جزيرة الفيله ويرجع تاريخها الى عام ٥٠٠ — ٤٠٠ ق٠م وقد ألقت هذه الاكتشافات الاثريه الضوء على قصة تطور الكتابه الآراميه وتطور اللغه الآراميه . وقد اتضح ان اللغه الاراميه انقسمت مع مرور الزمن الى لهجتين مختلفتين : لهجة شرقية سادت وادى الفرات وتسمى باللهجه السوريه ولهجه غربيه سادت فلسطين تمثلها اللهجه الآراميه المسيحيه ولهجة شمعل وحماه واللهجه النبطيه وأصبحت اللهجه السوريه أو لهجة أودسا لغة الكنيسه فى سوريا ولبنان والعراق وكانت تستخدم حتى القرن الثالث عشر الميلادى حين حلت محلها اللغه العربيه .

ولما اعتنق الاراميون المسيحيه واستخدموا لهجة الرها فى كنائسهم وآدابهم وثقافتهم سموا أنفسهم السوريين أو السريان . وقد تأثر الآراميون الذين استقروا فى شمال سوريه وفى اقليم

الجزيره بالحضاره الأشوريه والحيثيه • ومدينه شمعل احدى مدنهم الشماليه مدينه حيثيه في تخطيطها وعمارتها وكان ملوكها يتشبهون ببلاط الحيثيين تاره والاشوريين تارة أخرى • وقد عثر المنقبون على تمثال ضخم ينسب الى الملك بنمو الأول يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد واقام هذا التمثال للاله حداد وهو يمثل المعبود وقد لبس تاجا ذا قرنين وله لحيه كثه وسط ذراعه ليمنح البركه • وتوحى صناعة التمثال وصورته بالتأثر بالتقاليد الحيثيه • واقام بنمو الثانى ( ٧٣٢ ق • م ) تمثالا آخر لهذا الاله • وقد أظهرت الآثار ايضا ابن بنمو الثانى جالسا على عرش عظيم من خشب الأبنوس والعاج والذهب والعرثر مقام على عمد من خشب الأرز لها رؤوس ثيران وتحت قدميه مقعد مزخرف ورداء هذا الملك وهيئته تعطينا صورة ملك حيثى اما شعره ولحيته تمثل ملكا أشوريا •

وكانت عبادة الآراميين تقوم كغيرهم من الشعوب الساميه القديمه على عبادة قوى الطبيعه وتقديسها وكان أعظم الهتهم هو الاله حداد أو أواد أو أدو اله البرق والرعد وهو يرحم عباده فيرسل السحاب والمطر وينتقم منهم فيبعث الفيضان • ولهم اله اخر يسمى رمون وكان معبده الرئيسى فى مدينة هيروبوليس ( منبج العربيه ) كما اقيمت له معابد اخرى فى مدن سوريا ولبنان • ولما كان السوريون شعبا زراعيا فقد قرنوا الههم هذا

بالشمس وصوروه برأس تحيط بها هاله من الضوء ٠ وكان للاله حداد زوجه عبدها الآراميون باسم أتار جاتيس نقشوا صورتها على نقودهم ورمزوا لها بالهلال ومعه قرص الشمس ٠ وكان لهم كذلك معبودات محليه وعبدوا القمر فى مدينة حران ٠

—

## الباب الخامس

## العرب

يختلف وضع الساميين فى شبه الجزيره العربيه فى بعض الخصائص عن الوضع فى كل من بلاد الرافدين وسوريه حيث لاتوجد فى شبه الجزيره هجرات ساميه من خارج شبه الجزيره بل نجد أقواما مستقره داخلها . ويجب أن نأخذ فى الاعتبار الظروف الجغرافيه فعلى عكس باطن الصحراء فالتخوم الجبليه التى تمتد من تخوم سوريه الخارجيه حتى الساحل الجنوبى لتظهر مرة أخرى فى عمان بفضل الترسيبات الجويه ومناخ اكثر اعتدالا ؛ تهب فرصة أفضل للاستقرار ولأنواع الزراعه التى تتفق معها . وعلى هذا لم تكن تحركات البدو قاصرة على اتجاهها نحو سوريه وبلاد الرافدين فحسب بل اتجهت نحو التخوم أيضا . والى جانب هذه التخوم الجبليه توجد الواحات التى تكسر الصحراء فى مناطق متفرقه وتحدد نقط بدايات طرق القوافل ومحطاتها وقد استقر فيها بعض السكان بصفة دائمه وكان عددهم يزداد أثناء فصول الجفاف بسبب اندفاع قبائل البدو القريبة الى هذه البقاع .

وعلى تخوم هذه الصحراء تمر الطرق التجاريه الضخمة التى تربط الشرق الادنى والاقصى بأوروبا وأفريقية . وأهم هذه

الطرق هو طريق البخور المشهوروالذى تتكون نقطة بدايته فى جزيرة العرب من سلسلة من الموانى التى تقع على الساحل الجنوبى الغربى من الجزيره العربيه • ومن هذه الموانى يتجه الطريق شمالا ويمر بمكه والمدينه الى معان وبطرا ( البتراء ) وجرانسا ( جرش ) ودمشق • وعند بطرا يتفرع منه طريقان الى أفريقيا يمر أحدهما بسيناء والثانى يستمر حتى غزه فالبحر المتوسط • ثم من دمشق ويصل الطريق الى البحر عند صور • ثم يستمر شمالا الى حمص وانطاكيه ولكن عند حمص ودمشق يتصل بطريق رئيسى آخر يبدأ من الخليج العربى ويتجه شمالا الى الفرات حتى مستوى دورا ثم يخترق واحة تدمر الى المدن السوريه • وهذان هما الطريقان العربيان الرئيسيان وكلاهما يقع على تخوم الصحراء العربيه • ويتصل الطريقان ببعضهما بواسطة سلسله من شعاب القوافل الصغيره • ومن أهمها فرع طريق البخور الذى يبدأ عند واحة نجران ويخترق وادى دواسر الى جرها وساحل الخليج العربى • وقد تكونت المجتمعات السياسيه فى النقط الخصبه على طول طرق التجاره • وقد كشفت أعمال التنقيب حديثا عن وجود حضارات مستقره عند أول نقطه ابتداء لطريق البخور فى الجزيره العربيه كما توجد على طول الطريق دويلات متعاقبه فى المنطقه الساحليه الجنوبيه الغربيه حضرموت وقتبان وسبأ ومعين ودول أخرى أقل أهميه • والى جانب ذلك فالمراكز الرئيسيه لهذه الدويلات تقع جميعا عند

نقط محطات هامه على طريق البخور شبام ، شبوه ، تمنع ، ظفار ، مأرب ، صرواح ونجران وهذه هى بعض المراكز الهامه فقط .

ومن أهم مراكز طرق البخور بعض المدن التى فى الشمال مثل : الطائف ، مكه ، المدينه ، داران ، بطرا وكانت بطرا اهم نقط على الطريق الغربى كما كانت تدمر على الطريق الشرقى . وعند كل من بطرا وتدمر التى اطلق على كل منها مدينة القوافل تتفرع منها الطرق فى اتجاهات مختلفه وعند ما تزدهر التجاره تزداد الاهميه السياسيه والعسكريه لهذه المراكز .

ولقد نشأت الحضاره العربيه الراقيه فى شبه الجزيره العربيه نتيجة لاستقرار البدو فى مجتمعات منظمه بالاضافة الى اتصالاتهم الخارجيه مع الدول المحيطه وينطبق هذا على كل الحضارات الشماليه والجنوبيه التى كانت على اتصال بحضارة العصر الاغريقى من خلال اللغه الاراميه وهذا يختلف عن وضع الساميين فى كل من بلاد الرافدين وسوريا .. ففى العصور التاريخيه كان الساميون يأتون من الخارج ويستقرون بين الحضارات القديمه التى كانت قائمه بهذه البلاد اما فى الجزيرة العربيه فقد بقى الساميون بها وجاءت الحضارة اليهم من الخارج .

وهناك اختلاف كبير في التاريخ بين الحضارات الساميه في بلاد الرافدين وسوريه وبين الجزيره العربيه وهي مشكله يصعب حلها وعلى أية حال فان جوهر الحضاره هو الادب وأول صوره للكتابه معروفه في شبه الجزيره كانت الابجديه وكانت قد بلغت تطورها قبل نهاية الالف الثاني وهذا يسبق تطور الابجديه الاغريقيه . ومن ثم فان نشأة الحضاره العربيه الراقيه ربما كان له مرحلتان — المرحلة الاولى وهي استعمال الابجديه والمرحله الثانيه نشأت بعد مضى بضعة قرون متأثره بالحضاره الاغريقية .

ونتحدث الان عن الدول التي تكون مجموعه مستقله في المنطقه الجنوبيه الغربيه وتاريخ نشأتها . في القرن الثامن قبل الميلاد جاء ذكر السبئيين في النصوص المسماريه وهي تدلنا على أن رؤسائهم قدموا هدايا وجزيه الى ملوك اشور وربما كان هذا يختص بالمستعمرات الشماليه ولكنه يدل في الوقت نفسه على قيام منظمات سياسيه وفي حوالي ٤٠٠ ق.م نشأت دول عربيه جنوبيه وأهمها : معين وقتبان وحضرموت . ففي القرن الثالث الميلادي وحدت دولة سبأ المنطقه تحت سلطانها وسقطت سبأ نهائيا عام ٥٢٥ ميلاديه عندما غزتها الحبشه . وعلى ذلك فقد استمرت سبأ حوالي الف عام ولكن النقوش العربيه الجنوبيه لاتلقي ضوءا كافيا على أصل هذه الدوله وكيف تكونت فقد كانت

هذه النقوش خاصة بالنذور .

ويمكننا القول ان نشأة الدول العربيه الجنوبيه وتاريخها كان نتيجة لتحركات البدو والرحل الذين استقروا عند نقط التقاء الطرق التجاريه طبقا للقوانين الجغرافيه والاقتصاديه التى تكلمنا عنها من قبل . واذا نظرنا الى أسماء الدول الرئيسيه : سبأ ، معين وقتبان نجد أنها اسماء قبائل كانت ذات نفوذ قوى فى هذه الدول وعلى ذلك حملت اسمائها ومثال ذلك قبيلة حمير حيث أطلق الاغريق على كل سكان الجنوب العربى الحميريه .

ويتضح لنا من الوثائق التى فى أيدينا ان القبيله كانت منذ البدايه هى أساس الدوله فالعباره : المقه — مكرب — سبأ التى كانت تستعمل دائما للدلالة على دولة سبأ فى مرحلتها الاولى هى دليل هام : فالمقه هو الاله الاعظم ومكرب هو الحاكم . وتدل طبيعة هذه العباره والاعمال المختلفه التى يمارسها المكرب فى الدول المختلفه التى ظهر فيها على أن سلطانه كان له فى نفس الوقت طابع دينى وسياسى وان الدوله نفسها كانت قائمه على أسس دينيه — وأخيرا سبأ هى القبيله وعلى هذه العناصر الثلاثه يعتمد الكيان السياسى كله .

والى جانب الأدله الخاصه بأصول الدول العربيه الجنوبيه

التى نعرفها من تنظيمهم توجد لدينا أدله هامه مستمدة من النصوص وهى تشير الى استقرار البدو فى المرحله التاريخيه : نذكر من المراسيم السبئيه نقشا يسجل تصريحا بقطعة أرض أعطاها الملك الى قبيله فى نظير الخدمه العسكريه • ونص آخر يحتوى على الحظر المفروض على المنتفعين بتصريح وهى حقيقة هامه • محظور نهب الأراضى الزراعيه ومحظور تركها فى وقت الحصاد •• مثل هذه التوصيات لابد أنها صادرة الى بدو فى طريقهم الى الاستقرار • ونقش آخر ينص على ممتلكات قبيله ويذكر ان هذه الأراضى امتلكت عن طريق الشراء وهذا يدل على النقوش العربيه الجنوبيه تسجل استقرار قبائل البدو كظاهره جاريه وكان استقلال القبائل داخل الدول العربيه الجنوبيه يقوى مع انحلال الدوله •• وفى القرون الاخيره لم تكن المراسيم الملكيه توجه الى جميع الناس بل الى قبائل معينه وقبيل انتهاء الكيان السياسى للدولة السبئيه نجد ان بلاد الجنوب العربى كانت تحكمها قبائل مستقله فى الواقع لاترتبط مع بعضها الا ارتباطا بسيطا بواسطة السلطه الملكيه •

والبتراء ( بطرا ) وتدمر ( بالميرا ) مثل الدول الجنوبيه تاريخ بدايتها غير مؤكد • وقد ورد ذكر تدمر على أنها منطقة آهله بالسكان فى خطابات مارى حوالى ١٧٠٠ ق٠م ولقد ظهرت بطرا منذ القرن الثانى قبل الميلاد

على الأقل وتدمر على الأقل منذ القرن الاول قبل الميلاد وتاريخ نهايتهما غير مؤكد حيث تنتهى كل منهما الى فترة الاحتلال الرومانى حيث سقطت بطرا فى ١٦ ميلاديه وتدمر فى ٢٧٣ ميلاديه .

وأهل البتراء ( بطرا ) عرب كما يتضح من النصوص الكلاسيكيه التى تربطهم دائما مع كلمة " عرب " أو تطلقها عليهم . ولكن الكتابه الرسميه للدوله لم تكن اللغه العربيه بل كانت اللغة المستعمله فى بطرا وتدمر هى الآراميه .

وأول معلومات تصلنا عن الانباط ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد فقد كانوا هم انفسهم النبايتى الذين قادهم ملكهم ناتنون لمحاربة أشوربانيبال وتذكر حوليات هذا الملك ان جيوشه الاشوريه تقدمت فى الصحراء وهزمت الثوار وحلفائهم . ويحكى لنا ديودور الصقلى معلومات مؤكده عن حملة انتيجونس ضد النبط فى ٣١٢ ق.م . ويصف لنا ديودور عادات الحياة النبطيه ومن هذا الوصف يتضح لنا أصلهم البدوى وهو يحكى لنا ان النبط كانوا عربا يقطنون منطقه صحراويه ويعيشون بالغزو وقانونهم يحرم عليهم زراعة القمح أو أى نوع آخر من الزراعه وحرم كذلك شرب الخمر وبناء المنازل . ولكن الدوله النبطيه كانت موجوده قبل هذا التاريخ فى عام ١٦٥ ق.م . وفى دولة تدمر نجد نفس ظاهرة التحام الأصل العربى مع الحضارة الآرامية

كما لاحظنا فى البتراء فاسماء الاعلام معظمها اسماء عربيه بينما الخط واللغه الرسميه آرامى .

والى جانب الدولتين ذكرت دوله اللحيانيين فى دادان وتعرف الآن باسم العلا على الحدود الجنوبيه لمدينة الانباط ودادان مستعمره واللحيانيين قبيله عربيه من عشيرة هذيل وهى لذلك وسط شمال وهى معروفه جيدا للمؤلفين المسلمين . وسقطت الدولة اللحيانيه ١٥٠ ميلادية . وظهرت كذلك دولة الغساسنه على تخوم دمشق واللخميين المتمركزين فى الحيرة .

وأشهر حضاره قامت فى الجزيره العربيه قبل الاسلام هى حضارة سبأ الذى ينسب العرب تأسيسها الى عبد شمس ابن يشجب والتى استمرت حوالى الف عام . وقد نجحت مملكة سبأ فى القرن الثالث الميلادى فى توحيد كل المنطقه تحت سلطانها وسقطت فى ٥٣٥ ميلاديه نتيجة للغزو الحبشى لهذه المملكه . وينقسم تاريخ هذه المملكه الى مرحلتين :

المرحلة الاولى : كانت العاصمه فيها صرواح فى مكان خريبه الحاليه . وكان الملك يلقب بمكرب وهو لقب دينى لم يعد بعد هذا العصر مستخدما .

المرحله الثانيه : اقتصر الملوك فيه على لقب ملك سبأ وكانت عاصمتهم حينئذ مأرب . وقد عنى ملوكها بتشييد القصور

والمعابد التى لاتزال آثارها باقية حتى اليوم فى صرواح ومـأرب ومحرم وبلقيس ٠ ومن أهم تلك المعابد معبد اله القمر ومـن أهم النقوش النقش الذى يعرف اليوم باسم نقش النصر وقد ذكـر فيه كريب ـ أيل ـ وتار أعماله الحربيه والعمرانيه والخزانـات التى شيدها أو أصلحها وحدائق النخيل التى غرسها ٠ واذا احصينا عدد القتلى الذين ذكرهم هذا الملك نجدهم يزيـدون على ٣٠٠٠٠ شخص من أعدائه كما استخدم مالايقل عـن ٧٣٠٠٠ أسير فى تشييد مبانيه وزراعـة أراضيه ٠ واستولى من مدينـة معين على ١٥٠٠٠٠ رأس من الماشيه ومن نجـران عـلى ٢٠٠٠٠٠ رأس ٠

ومن أشهر آثار اليمن مأرب ولكن لم يعرف حتى الآن اسـم الملك الذى بنى مأرب ولم يعثر على مقابر ملوكها وان كان قد عثر بين الاطلال على كثير من النقوش التى تقص علينا أخبار بعـض الملوك ٠ وقد عثر كذلك على رؤوس تماثيل حجرية وتماثيل مـن البرونز وبعض توابيت حجرية ٠٠!

❖

## المراجع العربية

١ - الكتاب المقدس .

٢ - د . الفت محمد جـــــــلال
الادب العبرى القديم والوسيط ، القاهرة ١٩٧٨

٣ ج - كونتنو : الحضارة الفينيقيــــــــه
القاهرة سنة ١٩٤٨ . ترجمة د . محمد عبد الهادى
شعيــرة .

٤ - جوستاف لیبون : حضارة بابل وآشـــــــور
ترجمة محمود خيرت - القاهرة ، سنة ١٩٤٧ .

٥ - تاريخ العرب قبل الاســــــــــلام
جواد علــى .

٦ - د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلـــى
واطواره ومذاهبه - القاهرة ، ١٩٧٥

٧ - د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهـــــم
القاهرة سنة ١٩٧١ .

٨ - س . موسكاتـــــى : الحضارات السامية القديمة
القاهرة سنة ١٩٥٧ - ترجمة د . السيد يعقــوب
بكــر .

تابع المراجع العربيه

٩ - سليمان مظهر قصة العقائـــــــد .

١٠- ظفر الله خان : التلمود ، تاريخـــــه وتعليمه - بيروت سنة ١٩٧١

١١- د . محمد بحر عبد المجيد : اليهوديـــــة القاهرة سنة ١٩٧٨ .

١٢- د . محمد عبد القادر محمد : الساميون فـــي العصور القديمة - القاهرة سنة ١٩٦٨ .

١٣- هـ . ج ويلـــز : موجز تاريخ العالـــــم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

١٤- هـ . ج . ويلز : معالم تاريخ الانسانيـــــة ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - القاهرة ١٩٦٩

١٥- د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنـــى القديم ( حضارة العراق القديمة ) القاهرة ١٩٦١

١٦- ول ديورانت : قصة الحضارة : ترجمـــــة محمد بدران - القاهرة سنة ١٩٥٠ . المجلـــدان الاول والثاني .

١٧- ل . ويلابورت : بلاد مابين النهريـــــــن (الحضارتان البابليه والآشورية ) . ترجمـــــة محرم كمال - القاهرة ، مجموعة الالف كتاب ( ٣٥ )

المجلات والدوريات :

1. American Journal of Semitic Languages
   and Literature .

٢- مجلة سوريا ١٩٣٤ .

***********

## المراجع الاجنبيـــة

1. A.H Gardiner , The Admonitions of Egyptian Sage .
2. Charles Foster kent : A History of the Helbrew people .
3. Ch. Clermont - Ganneau , E tudes , d'archeologie oriental ,
4. Cyrus H. Gordon , Amarrigae of the goods in Canaanite mythology .
5. Edward Cuq, La propriete Fonciere en chaldéé 1906 .
6. Edward Cuq. Notes d'epigrohie et de papyrologie Juridiques 1908- 1909.
7. Encyc . Brit , ii , P 865
8. E. Weidner , Das Reich Sargon Von AKKad in AFo 16, 1952.
9. Francois Thureau , Dongin - Les inscrptions de Sumer et d'akkad 1905 P.123.
10. F.X. Kugler - Sternkunde and sterndienst in Baal . 1907.

11. G.Contenau : La civilisation des Hittitets et de Hurrittes du Mitanni 1948.

12. G. Contenau : La deese nue Bobloni-enno , 1904.

13. J.M. Lagrange - Etudes Sur Les religions semitiques 2 edit (Gabalda) 1905.

14. L eonord .W: king : the letters and Inscriptions of Hammurabi 1898.

15. Louis Delaporto ,Cotologue des Cylindres Orientaux de la Biblioneque nationale 1910.

16. Magolis and Marx : History of the Jewish people .

17. Paul Dhorme , Choixde Textes religieus a sayro BabyLoniens 1907.

18. Poul Dhorme : La religion a soyro - Bobloninner 1910.

19. Reinach , History of Religions 1930

20. R. Dussaud ,Byblos et la mention des Giblites dans L'ancien Testament , Syria , 1923 .

21. R. Dussaud , les Decouvertes de Ras- Shamra .

22. R. Dussaud , Les decouvertes de Ras Shamra ( Ugarit ) . et L'Ancien , Testament 1941.

...

## فهرت الموضـــوعات

( ٢ ) تابع فهرس الموضوعات